كتاب الكبائر

للإمـــام الحافـــظ

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز
شمس الدين الذهبي

المولـود ٦٧٣ هـ ١٢٧٤ م - المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٤٨ م

حقق أصوله ووثق نصوصه
وقدم له وعلق هوامشه

الأستاذ/ صفوت جودة أحمد
وكيل العلوم الشرعية بالأزهر الشريف

دار السندس للتراث الإسلامي
Elsondos For Islamic Heritage
ش السيد الدواخلي - أمام جامعة الأزهر بالحسين - القاهرة

■ اسم الكتـــاب: كتاب الكبائر

■ تــألـــيـــف: الإمام شمس الدين الذهبي

■ تحــقـــيق: الأستاذ/ صفوت جودة أحمد

■ النـاشـــــر: دار السندس - للتراث الإسلامي

■ تليـــفـــون: ٢٧٨٧٣٤٧٦ - ٢٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢٣٧٠٧٠٢٦ - ٠١٢٢٥٩٢٤٦٧

■ سنة النشـــر: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

■ عدد الصفحات: ٢٠٠ صفحة

■ رقم الإيـداع: / ٢٠١٠

تصميم الكتاب: م/ مصطفى أبو غنيمة

طبعة جديدة محققة ومنقحة

أصح الطبعات وأكثرها شمولا

الطبعـــة الأولـــى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



شـارع السـيد الدواخلي أمام بـاب جامعـة الأزهـر - بالحسين - القاهـرة

تليفون: 29 75 89 25 تليفاكس: 76 34 87 27 جوال: 67 24 259 012 - 26 70 370 012

E-mail:dar-elsondos@yahoo.com



كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم.

أحمده تعالى أن وفقنا إلى أشرف مهنة على وجه الأرض؛ جمع العلم ونشره القائل جل فى علاه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة).

والصلاة والسلام على سيد البشر عالى الأخلاق رفيع الدرجات الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه، الآخذ والأمر بالعلم والتعلم حتى وإن كان فى آخر بلاد العالم.

وبعد؛ فإن الله وفقنا - وكل موفق لما خلق له - أن نرشح هذا الكتاب القيم ليكون بين مجموعتنا المختارة لنشرها وتوزيعها فى بلاد الإسلام حتى يستطيع كل مسلم الحصول على نسخة يستفيد منها ويفيد أهله وإخوانه.

فكتاب الكبائر للإمام شمس الدين الذهبي لن نقول فيه سوى أنه كتاب إن اجتنبت نواهيه واتبعت أوامره لن يكون لك إلا أن تدخل من أحد أبواب الجنة الثمانية.

وختاما نرجو من الله أن يضع ثواب هذا العمل؛ لقارئه وجامعه وطابعه ومحققه ونحن معهم يا كريم، ويقينى أنه ثواب عظيم ما دام من المولى الرءوف الرحيم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دار السند للتراث الإسلامي

جعلها الله منارا لخدمة العلم والدين

كتاب الكبائر

للإمام شمس الدين الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١).

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الغفَّار القهَّار، مقلِّب القلوب والأبصار والصلاة والسلام على من بعثه الله بالحكمة وفصل الخطاب البشير النذير وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين وبعد:

فإن كتاب «الكبائر» يعتبر من أوائل مؤلفات الذهبي التى وضعها وقصد بتأليفها معالجة موضوعات متعددة فى ترغيب المسلمين فى فعل الخيرات وترهيبهم من فعل المنكرات وبيان شناعة الكبائر وإثمها العظيم، وقد عرض المؤلف للكبائر كبيرة كبيرة وجمع سبعين كبيرة تدخل أحداها صاحبها النار ما لم يتب أو يغفر له الكبير المتعال.

ونحن أيها القارىء الكريم إذ نقدِّم لك كتاب «الكبائر» فإننا نقدِّم كتابا لإمام حافظ وعلم من أعلام الإسلام هو مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي عالم عصره وزمانه.

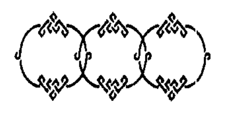
وقد اتبع المؤلف فى كتابه طريقة الواعظ المرشد الأمين الذى يبغى صلاح الناس ونجاتهم، وقد ساق ما أورده بلغة سهلة مفهومة وأسلوب واضح سهل جذاب، وابتعد عن الغموض، والتعقيد، ولذلك جاء كتابه نافعًا للخطباء والوعاظ ومنبها للغافلين والحائرين وزاجرا للعصاة والمنحرفين وإمامًا قائدا للراغبين فى سلوك طريق رب العالمين.

والكتاب بحق مرجع مهم وإضافة كبيرة للمكتبة الإسلامية.

وإذ تقوم -بعون الله وحسن توفيقه دار السندس للتراث الإسلامى بنشر هذا الكتاب القيم باذلة كل الجهد بالنفس والنفيس رغبة فى النفع والرجوع إلى الحق لنرجو لها دوام التوفيق لتأدية رسالتها الموجهة إلى العالم الإسلامى للرجوع إلى دين الله تعالى واتباع سنة رسوله ﷺ.

ونحن إذ نزف إليك عزيزى القارئ - جوهرة ثمينة ودرة فى كنوز التراث الإسلامى يتيمة نرجو من الله تعالى أن ينفعنا جميعا بالثقافة الإسلامية ويتقبل منا صالح أعمالنا وأن يغفر لنا وأن ينفعنا بالعلم ويكرمنا بالحلم وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويفعلون فيخلصون ويخلصون فيقبلون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(المحقق)



بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

الإمام شمس الدين الذهبي

المولود ٦٧٣ هـ ١٢٧٤م

المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٤٨م

هو الإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو محمد حافظ مؤرخ، علامة محقق تركمانى الأصل، من أهل ميافارقين، مولده فى دمشق[١].

مولده:

ولد المؤرخ الذهبى مؤرخ الإسلام ﷺ بدمشق سنة ٦٧٣ فى شهر ربيع الآخر[٢].

نشأته وتربيته:

عاش الذهبي طفولته فى أكناف عائلة علمية متدينة عنيت به منذ سنة ولادته، لذلك وجدنا أخاه من الرضاعة علاء الدين أبا الحسن على بن إبراهيم بن داود العطار الشافعى يستجيز للذهبي جملة من متعيني مشايخ عصره فانتفع الذهبي بعد ذلك بهذه الإجازات انتفاعًا شديدًا، ثم أمضى أربعة أعوام عند أحد المؤدِّبين المعروفين وتعلم ما يتعلمه الأطفال من قراءة وكتابة ومحفوظات[٣].

وحينما بلغ الثامنة من عمره توجهت عنايته إلى طلب العلم بصورة جدية نحو حقلين رئيسيين هما: القراءات والحديث الشريف، فتميز فى دراسة القراءات وبرع فيها، وعنى بالحديث عناية فائقة وانطلق فيه حتى طغى على تفكيره واستغرق كل حياته بعد ذلك فسمع ما لا يحصى كثرة من الكتب والأجزاء، ولقى العديد من الشيوخ والشيخات، وأصيب بالنهم فى سماعه وقراءاته، يدل على ذلك

---

(١) الأعلام للزركلى ٥/ ٣٢٦.

(٢) التاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية ص ١٠٥.

(٣) الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية للدكتورة/ فاطمة محجوب ٥٧٤/١٨ ط دار الغد العربى.

معاجم شيوخه وخاصة معجم شيوخه الكبير الذى ذكر فيه قرابة (١٢٧٨) شيخًا وشيخة[1] ومن شيخاته زينب بنت عمر بن كندى.

لماذا سمى الذهبى بهذا الاسم؟

كان والده شهاب الدين أحمد يعمل بصنعة الذهب المدقوق فعرف بالذهبي، وعرف شمس الدين محمد بابن الذهبي، نسبة إلى صنعة أبيه، وكان يقيد اسمه دائمًا «ابن الذهبي» ويبدو أنه اتخذ صنعة أبيه مهنة له فى أول أمره لذلك عرف عند بعض معاصريه بـ «الذهبي» مثل الصلاح الصفدي، والتاج السبكي[2].

أساتذته:

كانت للذهبي صلات حميمة بثلاثة من شيوخ ذلك العصر هم: تقي الدين ابن تيمية «٦٦١-٧٢٨هـ»، وجمال الدين المزى «٦٥٤-٧٤٢هـ» وعلم الدين البرزالى «٦٦٥-٧٣٩هـ» وترافق معهم طيلة حياتهم، فأثر ذلك فى تكوينه الفكرى المتمثل بميله إلى آراء الحنابلة ودفاعه عن مذهبهم فى العقائد، مع أنه كان شافعيا وارتباطه الشديد بالحديث والمحدثين، ونظرته إلى العلوم والعلماء وفلسفتهم تجاه العلوم العقلية، مما أثر فى منهجه التاريخى تأثيرًا واضحا ظهر فى اهتمامه الكبير بالتراجم التى صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخى، وفى نظرته إلى الأحداث التاريخية وأسس انتقائها، ثم فيما وجِّه إليه من نقد أثار نقاشًا بين علماء عصره وعند العلماء الذين جاءوا بعده[3].

رحلاته طلبًا للعلم:

رحل الذهبي في طلب العلم داخل البلاد الشامية منذ سنة ٦٩٣هـ، وسمع ببعلبك، وحلب وحمص، وحماة، وطرابلس والكرك، والمعرة، وبصرى، ونابلس والرملة، والقدس، وتبوك، ورحل إلى البلاد المصرية عام ٦٩٥هـ فى رجب وعاد منها فى ذي القعدة، وسمع فى مصر من شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، والحافظيْن: الدمياطى والظاهرى، ورحل إلى الإسكندرية فسمع من علمائها،

---

(١) المرجع السابق ٥٧٤/١٨.

(٢) راجع كتاب الذهبى ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام ص ١٠.

(٣) الموسوعة الذهبية ٥٧٤/١٨.

وتوجه إلى حج بيت الله الحرام فى سنة ٦٩٨هـ، وسمع هناك من مجموعة من الشيوخ.

ولم تقتصر دراسات الذهبى على القراءات والحديث فحسب، بل توغلت، فقد عنى بالنحو ودراسته، وسمع عددًا من كتب اللغة والأدب والمجاميع الشعرية، واهتم بالكتب التاريخية فسمَّع عددًا كبيرًا منها على شيوخه: أي المغازى والسِّير، والتاريخ العام، وكتب الرجال والتراجم وغيرها[١].

واستقر المقام بالذهبي فى دمشق يرحل إليه من سائر البلاد، وتناديه السؤالات من كل ناد، وهو بين أكنافها كنف لأهلها وشرف تفتخر به، وتزهى به الدنيا وما فيها.

وكل تصانيفه شاهدة على تبحره ومهارته فى العلوم النقلية.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

يقول صاحب شذرات الذهب (ابن العماد الحنبلى) فى وصف الإمام الذهبي:

أما أستاذنا أبو عبد الله فبحر لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنى ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال فى كل سبيل كأنها جمعت الأمة فى صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر من حضرها[٢].

يقول الحافظ أبو المحاسن الدمشقى فى تذكرة الحفاظ:

الشيخ الإمام العلامة، شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدِّث الشام ومؤرخه ومفيده شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن عبد الله التركمانى الفارقى الأصل الدمشقى الشافعى المعروف بالذهبى - ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة بدمشق، وسمع الحديث فى سنة اثنتين وتسعين، وسمع بدمشق من أبى حفص عمر بن القواس، وأبى الفضل بن عساكر، وبالقاهرة الدمياطى، وبالثغر الغرافى وببعلبك التاج عبد الخالق، وبحلب سنقر الزينى،

---

(١) المرجع السابق ١٨/٥٧٤.

(٢) المرجع السابق ١٨/٥٧٢.

وبنابلس العماد بن بدران، وبمكة التوزى، وأجاز له الخلق من أصحاب ابن طبرزد والكندى وحنبل، وابن الحرستانى، وغيرهم من شيوخه وهم أزيد من ألف ومئتى نفس بالسماع والإجازة، وخرَّج لجماعة من شيوخه وعدَّل وفرَّع وصحح، وعلل واستدرك، وأفاد وانتقى واختصر كثيرًا من تأليف المتقدمين والمتأخرين، وكتب علمًا كثيرًا وصنف الكتب المفيدة ومن أطولها وأحسنها «تاريخ الإسلام»(١).

ذكره الإمام الجزرى قائلاً:

أبو عبد الله الذهبى الحافظ أستاذ ثقة كبير، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وعنى بالقراءات من صغره فقرأ على سحنون وعلى يحيى بن الصواف بعض القراءات وهما آخر من بقى من أصحاب الصفراوى، وقرأ كثيرًا من كتب القراءات فى السبع والعشر، وقرأ عليه الشيخ أحمد بن إبراهيم المنجى الطحان القرآن جميعه بقراءة أبى عمرو، وكتب كثيرًا وألف فى طبقات القراء، واشتغل بالحديث وأسماء رجاله(٢).

يقول أحد الباحثين فى دراسة عن الذهبى:

الإمام الذهبى من كبار المؤرخين، ومن أئمة علماء الحديث، وكان أسلوبه فى التأليف يقوم على الجمع والاختصار أو الانتقاء والتصنيف، أو النقد والتجريح والتعديل، أو الحفظ والنقل(٣).

ويقول مؤلف تذكرة الحفاظ أيضًا عن الذهبى:

كان الذهبى مدرسة بذاتها خرَّجت العديد من الحفاظ والعلماء، وقد أتاحت له معرفته العظيمة الواسعة بالحديث وعلومه والتاريخ وفنونه مكانة مرموقة بين أساتيذ (أساتذة) العصر، فأَمه طلبة العلم من كل حدب وصوب.

وقد تولى مناصب تدريسية كثيرة منها: مشيخة الحديث فى تربة أم الصالح، ودار الحديث الظاهرية، والمدرسة النفيسية، ودار الحديث التنكزية،

---

(١) راجع ترجمة الذهبى فى تذكرة الحفاظ.

(٢) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٧١.

(٣) الإمام محمد الذهبى ترجمته وبعض آرائه تأليف عبد الرحمن النحلاوى.

ودار الحديث الفاضلية، ودار الحديث العروية، وقد أتاحت له هذه المناصب أن يدرس عليه عدد كبير من الطلبة يفوق الحصر[١].

قال عنه الحافظ جلال الدين السيوطي:

إن المحدِّثين عيال في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر، ثم قال: رثاه التاج السبكي بقصيدة أولها:

مَن للحديث وللسارين في الطلب ... من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي

من للرواية والأخبار ينشرها ... بين البرية من عجم ومن عرب

من للدراية والآثار يحفظها ... بالنقد من وضع أهل الغي والكذب

من للصناعة يدري حل معضلها ... حتى يريك جلاء الشك والريب

ثَبتٌ صَدوقٌ خبيرٌ حافظ يقظ ... في النقل أصدق أنباء من الكتب

الله أكبر ما أقرأ وأحفظه ... من زاهد ورع في الله مرتقب[٢]

قال أحد تلامذته مثنيًا عليه: حمل عنه الكتاب والسنة خلائق.

أي أن تلامذته نشروا علمه وتفسيره وفقهه وشروحه للأحاديث.

تلامذته:

تتلمذ على يد مؤرخ الإسلام الإمام شمس الدين الذهبي علماء كبار، وفقهاء ومشايخ لا حصر لهم، أذكر منهم المشاهير والأعلام:

الإمام السبكي، الإمام البرزالي، الإمام العلائي، الحافظ ابن كثير المحدِّث الفقيه والمفسر المشهور، الإمام ابن رافع، الإمام ابن رجب الحنبلي، وكثير من الحفاظ الكبار[٣].

---

(١) تذكرة الحفاظ/ ٣٦.

(٢) ذيل طبقات الحفاظ.

(٣) الإعلام بتاريخ أهل الإسلام ١/ ٩٠.

مؤلفاته:

ترك مؤرخ الإسلام الإمام الذهبى مؤلفات عديدة ومتنوعة فى الحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، والعقائد، والتاريخ والسِّيَر والتراجم، وذكر أحد الباحثين أن للذهبى مائتين وأربعة مؤلفات، وفيما يلى أسماء أهم مؤلفاته:

١- أرجوزة الذهبي فى أسماء المدلسين.

٢- أسماء من راموا الخلافة.

٣- الأمصار ذات الآثار.

٤- أهل المائة فصاعدًا.

٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (من مراجعتنا).

٦- تجريد أسماء الصحابة.

٧- تذكرة الحفاظ.

٨- تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق.

٩- دول الإسلام.

١٠- ديوان الضعفاء والمتروكين.

١١- ذيل طبقات الحفاظ.

١٢- العبر فى خبر من غبر.

١٣- رسالة فى الرواة الثقاة.

١٤- زغل العلم.

١٥- سير أعلام النبلاء.

١٦- الطب النبوى.

١٧- الكبائر: وهو الذى نقدِّم له ونحققه.

١٨- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة.

١٩- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.

٢٠- المشتبه فى أسماء الرجال.

٢١- المعين فى طبقات المحدِّثين.

٢٢- المغنى فى الضعفاء.

٢٣- مناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف القاضى ومحمد بن الحسن.

٢٤- الموقظة فى علم مصطلح الحديث.

٢٥- المهذب فى اختصار السنن الكبرى للبيهقى.

٢٦- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال.

كما أن للإمام الذهبى مختصرات كثيرة منها:

- مختصر تاريخ بغداد للبغدادى.
- مختصر السمعانى.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.
- مختصر فى الفقه والحديث.
- مختصر المحلَّى لابن حزم.
- مختصر الرد على الرافضة لابن تيمية.
- وظيفة التراث ونقله.

هذه بعض مصنفات مؤرخ الإسلام الإمام الذهبى مؤلف الكبائر وقد ترجم له وتحدث عنه علماء كبار وذكروا ترجمته كاملة وآراءه ومؤلفاته وهم كثير، وفى مقدمتهم ابن كثير فى البداية والنهاية ٢٢٥/١٤، وبذلك يكون الذهبى من أكثر من حظوا بدراسة آثارهم بطريقة منهجية دقيقة.

ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم، وانفعنا وانفع المسلمين بهذا العلم إلى يوم القيامة يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

صفوت جودة أحمد

وكيل العلوم الشرعية بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(أما بعد) فهذا الكتاب مشتمل على ذكر جمل فى الكبائر والمحرمات والمنهيات.

تعريف الكبائر

ما نهى الله ورسوله عنه ففى الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين وقد ضمن الله تعالى فى كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفِّر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)، فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٧) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (النجم: ٣٢)، وقال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفِّرات[١] لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[٢] فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هى لكى يجتنبها المسلمون[٣] فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها فقيل هى سبع، واحتجوا بقول النبى ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. متفق عليه[٤] وقال ابن عباس -رضى الله عنهما-:

---

(١) فى نسخة «كفارة لما بينهن ما لم تنش الكبائر» أى تعم وتنتشر.

(٢) رواه مسلم والترمذى وقال: حسن صحيح عن أبى هريرة رفعه واللفظ لمسلم قال الترمذى: وفى الباب عن جابر وأنس وحنظلة الأسيدى قال شارحه: أما حديث جابر فأخرجه مسلم وأما حديث أنس فأخرجه الشيخان وأما حديث حنظلة الأسيدى - يقال له حنظلة الكاتب - فأخرجه أحمد بإسناد جيد مرفوعًا انتهى.

(٣) فى نسخة: المسلم، واعلم أن التوبة من كل معصية واجبة على الفور وحتم لازم على كل عاص لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة وأنها من مهمات الإسلام وقواعد الدين ووجوبها عند أهل السنة نابعة من الكتاب والسنة وظاهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية على أن من تاب لله توبة نصوحًا واجتمعت شروط التوبة فيه يقبل منه توبته كرمًا منه وفضلا ومنة وإحسانًا.. انتهى.

(٤) متفق عليه، أى رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة، قلت: وكذا رواه أبو داود والنسائى.

هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع وصدق والله ابن عباس[1] وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر والذى يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئا من هذه العظائم مما فيه حد فى الدنيا كالقتل والزنا والسرقة أو جاء فيه وعيد فى الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة[2] ولا بد من التسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد فى النار ولا يغفر له أبدًا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦).

١- الكبيرة الأولى

«الشرك بالله»

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان: أحدهما أن يجعل لله ندًا ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبى أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك وهذا هو الشرك الأكبر الذى ذكره الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦) ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (المائدة: ٧٢) والآيات فى ذلك كثيرة.

فمن أشرك بالله ثم مات مشركًا فهو من أصحاب النار قطعًا كما أن من آمن بالله ومات مؤمنا فهو من أصحاب الجنة وإن عذِّب بالنار وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثًا - قالوا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فمازال يكررها حتى قلنا: «ليته سكت»[3] وقال ﷺ: «اجتنبوا

---

(١) رواه عبد الرزاق والطبرى فى تفسيره عند قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ (النساء: ٣١).

(٢) والكبيرة كل معصية فيها حد فى الدنيا أو وعيد فى الآخرة وزاد شيخ الإسلام: أو ورد فيها وعيد بنفى إيمان أو لعن ونحوهما، والصواب تقسيم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة وأن الكبائر فى الذنوب بعضها أكبر من بعض، قال ابن عبد السلام الشافعى: لم أقف على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذى قاله شيخ الإسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا، أو نفى إيمان، من أسلم الضوابط. عن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس: الكبائر سبع، فقال ابن عباس هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار وفى رواية عنه: هى إلى السبعين أقرب، وعدها العلماء فبلغت سبعين أو زادت على السبعين.

(٣) متفق عليه، وقالوا ذلك شفقة عليه ﷺ.

السبع الموبقات»[1] فذكر منها الشرك بالله، وقال ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه» الحديث[2].

والنوع الثانى من الشرك الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠) أى لا يرائى بعمله أحدا وقال ﷺ: «إياكم والشرك الأصغر» قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[3] وقال ﷺ: «يقول الله: من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى فهو للذى أشرك وأنا منه برئ»[4] وقال ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به»[5] وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «رُب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» يعنى أنه لما لم تكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له[6] كما روى عنه ﷺ أنه قال: «مثل الذى يعمل للرياء والسمعة كمثل الذى يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشترى به فإذا فتحه قدَّام[7] البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ولا منفعة له فى كيسه سوى مقالة الناس له ما ملأ كيسه ولا يعطى به شيئًا فكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة»[8] قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣) يعنى الأعمال التى عملوها

---

(١) تقدم تخريجه آنفا والموبقات: أي المهلكات وفعلاً تؤدى إلى هلاك صاحبها وإدخاله النار.

(٢) رواه أحمد، والبخارى.

(٣) قال العراقى: رواه أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس والبيهقى فى الشعب وابن أبى الدنيا من حديث محمود بن لبيد، وله رؤية ورجاله ثقات. قال المنذرى: جيد، ورواه الطبرانى عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج.

(٤) رواه مسلم دون كلمة: «وأنا منه برئ» وهى عند ابن ماجه بسند صحيح. اهـ عراقى.

(٥) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله بلفظ: «من راءى راءى الله به، ومن سمع سمع الله به» وهو فى الترغيب للمنذرى كما فى الأصل هنا والترمذى عن أبى بكرة رفعه، قاله العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء.

(٦) رواه ابن ماجه وأخرجه أحمد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى عن شداد بن أوس والبزار وابن مردويه والبيهقى عن الضحاك بن قيس رفعوه.

(٧) قُدَّام: أى أمام.

(٨) جعله ابن حجر الهيتمى فى زواجره من كلام بعض الحكماء لا حديثًا نبويا. ويوجد حديث قدسى بهذا المعنى سيأتى قريبا.

لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس. وروى عدى بن حاتم الطائى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يؤمر بفئام - أى جماعات- من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها استنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها فإنهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا، فيقول الله تعالى:

«ذلك ما أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى، وأجللتم الناس ولم تجلّونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى- يعنى لأجل الناس- فاليوم أذيقكم أليم عقابى مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى»[1] وسأل رجل رسول الله: ما النجاة؟ فقال ﷺ: «أن لا تخادع الله» قال: وكيف يخادع الله؟ قال: «أن تعمل عملاً أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله، واتق الرياء فإنه الشرك الأصغر وإن المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء: يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر، ضل عملك وبطل أجرك فلا أجر لك عندنا اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع»[2]، وسئل بعض الحكماء رحمهم الله من المُخلص؟ فقال: المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته، وقيل لبعضهم: ما غاية الإخلاص؟ قال: أن لا تحب محمدة الناس، وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. اللهم عافنا منهما واعف عنا.

٢- الكبيرة الثانية «قتل النفس»

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء: ٩٣) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ

---

(١) أخرجه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى وابن عساكر والنجار والحسن بن سفيان وذكره فى الترغيب بصيغة التمريض وهى: روى عن عدى إلخ، وذكره فى الموضوعات ونازعه السيوطى.

(٢) ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليحصبى عن صحابى لم يسم، وإسناده ضعيف اهـ. العراقى نسأل الله أن يعافينا من الرياء وأن يطهّر أعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأن يرزقنا الإخلاص فى السر والعلن.

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا﴾ (الفرقان ٦٨-٧٠) وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩)، وقال النبى ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»(١) فذكر قتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق(٢)، وقال رجل للنبى ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قال ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال ثم أى؟ قال: «أن تزانى حليلة جارك»(٣) فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ (الفرقان: ٦٨) الآية، وقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه»(٤).

قال الإمام أبو سليمان الخطابى رحمه الله: هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو، فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التى يجب قتالهم بها أو دفع عن نفسه أو حريمه فإنه لا يدخل فى هذه، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه إلا إن كان حريصًا على قتل صاحبه، ومن قاتل باغيا أو قاطع طريق من المسلمين فإنه لا يحرص على قتله إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه فإن الحديث لم يرد فى أهل هذه الصفة، فأما من خالف النعت فهو الذى يدخل فى هذا الحديث الذى ذكرناه - والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب

---

(١) تمام الحديث: قيل وما هن يا رسول الله؟، قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق وأكل مال اليتيم، وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، قاله المنذرى.

(٢) رواه البخارى ومسلم بدون الآية ورواه الترمذى والنسائى فى رواية لهما مع ذكر الآية، كلهم عن أبى مسعود الأنصارى قاله المنذرى فى الترغيب والترهيب.

(٣) أى تزنى بجارتك أو زوجة جارك.

(٤) رواه أحمد والشيخان البخاري ومسلم كما فى الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمى.

بعض»[١]، وقال رسول الله ﷺ «لا يزال العبد في فُسحة من دينه ما لم يصب دما حرامًا»[٢]، وقال ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء»[٣]. وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»[٤] وقال ﷺ: «الكبائر: الإشراك بالله وقتل النفس واليمين الغموس»[٥] وسميت غموسًا لأنها تغمس صاحبها فى النار، وقال ﷺ: «لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول[٦] كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» مخرَّج فى الصحيحين، وقال ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عامًا» أخرجه البخارى[٧].

فإذا كان هذا فى قتل المعاهد وهو الذى أُعطى عهدا من اليهود والنصارى فى دار الإسلام، فكيف بقتل المسلم؟ وقال ﷺ: «ألا ومن قتل نفسًا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفًا» صححه الترمذى، وقال ﷺ: «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى» رواه الإمام أحمد[٨]، وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا»[٩] نسأل الله العافية.

---

(١) متفق عليه من حديث أبى بكرة وهو قطعة من خطبة الوداع.

(٢) تمامه: وقال ابن عمر: من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله، رواه البخارى والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، والورطات: جمع ورطة وهى المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه اهـ، ترغيب وترهيب للمنذرى والفسحة: أى السعة.

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن مسعود، قاله المنذرى فى الترغيب.

(٤) رواه النسائى والبيهقى من حديث بريدة وشاهده عند مسلم والنسائى والترمذى من حديث ابن عمر مرفوعا وموقوفا قاله المنذرى ورواه البيهقى والأصبهانى وابن ماجه بإسناد حسن عن البراء ابن عازب رفعه اهـ.

(٥) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص اهـ المنذرى.

(٦) المقصود بابن آدم الأول: أى قابيل الذى قتل أخاه هابيل بسبب الحسد وكانت أول جريمة ترتكب على ظهر الأرض وكانا ولدين لسيدنا آدم انظر تفسير الآية ٣٠ سورة المائدة في تفسيرى المبسط.

(٧) والنسائى عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف فى رسالته الصغرى فى الكبائر وكذا المنذري فى الترغيب والترهيب.

(٨) وابن ماجه، وفى إسناده مقال قال المصنف فى رسالته الصغرى والأصبهانى كلهم عن أبى هريرة رفعه البيهقى من حديث ابن عمرو رفعه، ذكره المنذرى فى الترغيب بصيغة التمريض وشطر كلمة: أى نصف كلمة.

(٩) أخرجه النسائى والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه أبو داود وابن حبان قال: وصححه عن أبى الدرداء رفعه اهـ ترغيب.

٣- الكبيرة الثالثة «السِّحر»

لأن الساحر لابد وأن يكفر، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ **(البقرة: ١٠٢)** .

وما للشيطان الملعون غرض فى تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به، قال الله تعالى مخبرًا عن هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ **(البقرة: ١٠٢)** أى من نصيب.

فترى خلقًا كثيرًا من الضُّلال يدخلون فى السحر ويظنونه حرامًا فقط وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون فى تعليم السيمياء[١] وعملها وهى محض السحر وفى عقد الرجل عن زوجته وهو سحر وفى محبة الرجل للمرأة وبغضها له، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.

وحد الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر، قال النبى ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها السِّحر[٢] والموبقات المهلكات، فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «حد الساحر ضربه بالسيف»[٣].

والصحيح أنه من قول جندب، وعن بجانة بن عبدة[٤] أنه قال: أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، وعن وهب بن منبه قال: قرأت فى بعض الكتب: يقول الله عز وجل: لا إله إلا أنا ليس منى من سَحر ولا من سُحر له ولا من تكهن ولا من تكهن له ولا من تطير ولا من تطير له. وعن على ابن أبى طالب رضي الله عنه قال: الكاهن ساحر والساحر كافر، وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر وقاطع رحم

---

(١) فى بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف والمراد بها كيمياء السحرة التى غرضها الوصول إلى (إكسير الحياة) الذى يحول الشيخوخة والهرم بزعمهم شبابا وكذلك (حجر الفلاسفة) الذى يحول النحاس وغيره فى زعمهم ذهبا، أما الكيمياء الصناعية التى هى معرفة خواص الأجسام تحليلاً وتركيبًا فليست مرادة بهذا الذم.

(٢) تقدم آنفًا بلفظه وتخريجه. (٣) رواه الترمذى وقال: الصحيح أنه من قول جندب اهـ الزواجر.

(٤) رواه البخارى.

ومصدّق بالسحر» رواه الإمام أحمد فى مسنده[1] وعن ابن مسعود[2] رضي الله عنه مرفوعا قال: «الرقى والتمائم والتولة شرك» التمائم: جمع تميمة، وهى خرزات أو حروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين، وهذا من فعل الجاهلية ومن اعتقد ذلك فقد أشرك والتولة - بكسر التاء وفتح الواو -: نوع من السحر، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى[3]، قال الخطابى[4] رحمه الله: أما إذا كانت الرقية بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهى مباحة لأن النبى ﷺ كان يرقى الحسن والحسين -رضى الله عنهما- فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» وبالله المستعان وعليه التكلان.

٤ - الكبيرة الرابعة «ترك الصلاة»

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (مريم: ٥٩، ٦٠) .

---

(١) وابن حبان فى صحيحه وأبو يعلى والحاكم وصححه قال المنذرى فى الترهيب: من شرب الخمر.

(٢) رواه أحمد وأبو داود قاله المصنف فى رسالته الصغرى وابن حبان والحاكم وصححاه أفاده المنذرى فى ترغيبه.

(٣) فائدة: قال المصنف فى رسالته الصغرى فى آخر الكبيرة الثالثة: واعلم أن كثيرًا من هذه الكبائر بل عامتها - الأقل - يجهل خلق من الأمة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد.

فهذا الضرب فيه تفصيل فينبغى للعالم أن لا يستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله ولا سيما إذا كان قريب العهد بجاهليته، قد نشأ فى بلاد الكفرة بعيدة وأسر وجلب لأرض الإسلام وهو تركى أو كرحى مشرك لا يعرف بالعربى فاشتراه أمير تركى لا علم عنده ولا فهم فبالجهد أنه يلفظ بالشهادتين فإن فهم بالعربى حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالى فبها ونعمت ثم قد يصلى وقد يلقن الفاتحة مع الطول إن كان أستاذه فيه دين ما، فإن كان أستاذه نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام والكبائر واجتنابها والواجبات وإتيانها، فإن عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد وذلك نادر، فينبغى للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية، فإن قيل: هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه قيل، ما دار فى نفسه ولا استشعر أن سؤال من يعلمه يجب عليه ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف بعباده رءوف بهم قال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ (الإسراء: ١٥) وقد كان سادة الصحابة بالحبشة وينزل الواجب والتحريم على النبى ﷺ فلا يبلغهم إلا بعد شهر فهم فى تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص كذا يعذر بالجهل إن لم يعلم حتى يسمع النص والله أعلم اهـ.

(٤) هو الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابى صاحب التصانيف الممتعة كشرح سنن أبى داود وغيرها، توفى سنة ٣٨٨هـ ببلدة بست.

قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها، وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله: هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر، ولا يصلى العصر إلى المغرب، ولا يصلى المغرب إلى العشاء،ولا يصلى العشاء إلى الفجر، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس، فمن مات وهو مصرٌّ على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى، وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه، وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤، ٥) أى غافلون عنها متهاونون بها، وقال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال: «هو تأخير الوقت»[1] أى تأخير الصلاة عن وقتها سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب، وقيل: هو واد فى جهنم لو سيِّرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩) قال المفسرون: المراد بذكر الله فى هذه الآية: الصلوات الخمس، فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين، وهكذا قال النبى ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر»[2] وقال تعالى مخبرًا عن أصحاب الجحيم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٢-٤٨) وقال النبى ﷺ:

---

(١) رواه البزار فى مسنده من رواية عكرمة بن إبراهيم وقال: رواه الحافظ موقوفا ولم يرفعه غيره قال المنذرى: وعكرمة هذا هو الأزدى مجمع على ضعفه والصواب وقفه، يعنى أنه من كلام سعد ابن أبى وقاص. اهـ. ترغيب، وقال به زيد بن على فى تفسير الغريب وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن.

(٢) عزاه المنذرى فى الترغيب إلى الأوسط للطبرانى وأشار إلى ضعفه وذكر له شاهدًا من حديث عبد الله بن قرط عند الطبرانى فى أوسطه أيضًا وقال: لا بأس بإسناده إن شاء الله اهـ.

وقال المصنف فى الصغرى: حسنه الترمذى من حديث أبى هريرة اهـ، وكذا قال المنذرى فى الترغيب: رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة وقال: حسن غريب اهـ وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم الدارى رفعه.

«العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[1]، وقال النبى ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»[2] حديثان صحيحان، وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «من فاتته صلاة العصر حبط عمله» وفى السنن أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله»[3] وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» متفق عليه[4] وقال ﷺ: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا، ولا برهانًا ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأُبَى بن خلف»[5] وقال عمر رضي الله عنه: أما أنه لا حظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة.

وقال بعض العلماء رحمهم الله: وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فإن اشتغل بماله حُشر مع قارون وإن اشتغل بملكه حُشر مع فرعون وإن اشتغل بوزارته حُشر مع هامان وإن اشتغل بتجارته حُشر مع أُبَى بن خلف تاجر الكفار بمكة. وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فد برئت منه ذمة الله عز وجل»[6] وروى البيهقى بإسناده[7]: أن عمر بن

---

(١) رواه من حديث بريدة أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وقال: حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح ولا تعرف له علة اهـ المنذرى وأخرج نحوه الطبرانى فى الكبير عن ثوبان رفعه.

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه بألفاظ متقاربة اهـ المنذرى، وأخرجه ابن ماجه ومحمد بن نصر والطبرانى فى الكبير عن أنس رفعه.

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقى عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء وله شواهد من حديث معاذ عن الطبرانى فى الأوسط وعنده فى الكبير وعند أحمد وإسناده صحيح ومن حديث أمية مولاة رسول الله ﷺ عند الطبرانى ومن حديث أم أيمن عند أحمد والبيهقى وكلها لا تخلو من مقال ولكن يعتضد بها أفاده المنذري فى الترغيب.

(٤) من حديث عمر.

(٥) رواه أحمد بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وكذا رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان فى صحيحه اهـ المنذرى وقال المصنف فى الرسالة الصغرى: ليس إسناده بذلك.

(٦) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع، فإن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ وفى الأوسط للطبرانى بإسناد لا بأس به فى المتابعات اهـ المنذرى، قلت: وهو حديث طويل فى النهى عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش.

(٧) أى فى الشعب بسند ضعفه، وقال الحاكم: عكرمة مولى ابن عباس لم يسمع من عمر اهـ عراقى.

الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله تعالى فى الإسلام؟ قال: «الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين»، ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم أما إنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة وصلى رضي الله عنه وجرحه يثعب[١] دمًا قال عبد الله بن شقيق التابعى رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، وسئل على رضي الله عنه عن امرأة لا تصلى؟ فقال: من لم يصل فهو كافر[٢]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من لم يصل فلا دين له[٣]، وقال ابن عباس -رضى الله عنهما-: من ترك صلاة واحدة متعمدًا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان[٤] وقال رسول الله ﷺ: «من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته - أى ما يفعل وما يصنع بحسناته- إذا كان مضيعا للصلاة»[٥]، وقال ابن حزم: لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق، وقال إبراهيم النخعى: من ترك الصلاة فقد كفر، وقال أيوب السختيانى مثل ذلك، وقال عون بن عبد الله: إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شىء يسأل عنه، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر فى شىء من عمله بعد، وقال ﷺ: «إذا صلى العبد صلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول: حفظك الله كما حفظتنى وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: ضيعك الله كما ضيعتنى»[٦] وروى أبو داود فى سننه[٧] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم: من أم قومًا وهم له كارهون ومن استعبد[٨]

---

(١) يثعب بالعين المهملة: أى يسيل.

(٢) أخرجه الترمذي والحاكم عنه عن أبى هريرة ذكره المصنف فى الصغرى.

(٣) رواه محمد بن نصر موقوفًا عليه اهـ منذرى.

(٤) رواه محمد بن نصر المروزى وابن عبد البر بلفظ: فقد كفر اهـ منذرى.

(٥) قال العراقى: فى معناه حديث: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة - وفيه: فإن فسدت فسد سائر عمله» رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس اهـ.

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف، نحوه قاله العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء.

(٧) وكذا رواه ابن ماجه وفى سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقى مختلف فيه، أفاده المنذرى.

(٨) هو أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرهه على الخدمة بعد العتق، قاله الخطابى فى شرح السنن.

محررًا ورجل أتى الصلاة دبارًا» والدبار: أن يأتيها بعد أن تفوته، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيمًا من أبواب الكبائر»[1] فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم وأرحم الراحمين.

فصل «متى يؤمر الصبى بالصلاة»

روى أبو داود فى السنن أن رسول الله ﷺ قال: «مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» وفى رواية: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع».

قال الإمام أبو سليمان الخطابى رحمه الله: هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركا لها، وكان بعض أصحاب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى يحتج به فى وجوب قتله إذا تركها متعمدًا بعد البلوغ ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبعد من الضرب وليس بعد الضرب شىء أشد من القتل.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله فى حكم تارك الصلاة، فقال مالك والشافعى وأحمد -رحمهم الله-: تارك الصلاة يقتل ضربًا بالسيف فى رقبته، ثم اختلفوا فى كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها فقال إبراهيم النخعى[٢] وأيوب السختيانى[٣] وعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل[٤] وإسحاق بن راهويه[٥]: هو كافر، واستدلوا بقول النبى ﷺ: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» وبقوله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة».

---

(١) رواه الحاكم من حديث حنش عن ابن عباس وقال حنش، وهو ابن قيس ثقة قال المنذرى: بل واه بمرة لا نعلم أحدًا وثقه غير حصين اهـ ترغيب.

(٢) ابن يزيد أبو عمران الكوفى النخعى من رجال الكتب الستة توفى سنة ٩٦ هـ.

(٣) أحد الأئمة الأعلام من رجال الكتب الستة توفى سنة ١٣١هـ.

(٤) الإمام العالم شيخ المحدثين وأحد فقهاء الأمصار شيخ البخارى ومسلم وأبى داود مات سنة ٢٤١هـ.

(٥) إسحاق بن إبراهيم بن محمد الحنظلى أبو محمد المشهور بابن راهويه، الإمام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨هـ.

(فصل)،وقد ورد فى الحديث[1]: «أن من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات: يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويدخل الجنة بغير حساب، ومن تهاون بها عاقبه الله تعالى بأربع عشرة عقوبة: خمس فى الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث فى القبر وثلاث عند الخروج من القبر، فأما اللاتى فى الدنيا: فالأولى ينزع البركة من عمره والثانية يمحى سيماء الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يُرفع له دعاء إلى السماء والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين، وأما اللاتى تصيبه عند الموت: فإنه يموت ذليلاً والثانية يموت جائعًا والثالثة يموت عطشانًا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه، وأما التى تصيبه فى قبره، فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف فيه أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارًا يتقلب على الجمر ليلاً ونهارًا والثالثة يسلخ عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظافر من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول: أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف، يقول: أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع المغرب إلى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح، فكلما ضربه يغوص فى الأرض سبعين ذراعًا فلا يزال فى الأرض معذبًا إلى يوم القيامة، وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره فى موقف القيامة: فشدة الحساب، وسخط الرب ودخول النار[2]» وفى رواية: فإنه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات، السطر الأول: يا مضيع حق الله، السطر الثانى: يا مخصوصًا بغضب الله، السطر الثالث: كما ضيعت فى الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال:

---

(١) هذا الحديث لم يصح عن النبى ﷺ وإن كان رواه بعضهم والمصنف رحمه الله تعالى وإن كان من الحفاظ المحققين فقد تساهل فى هذا الكتاب فى كثير من الأحاديث اهـ. من هامش الأصل النجدى، قلت: عزاه السيوطى فى ذيل الموضوعات إلى ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد ثم نقل عن الميزان: هذا حديث باطل ركبه محمد بن على بن العباس على أبى بكر بن زياد النيسابورى، وعن اللسان: هو ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية اهـ.

(٢) هذا الحديث قال عنه علماء الحديث إنه حديث موضوع وهناك أحاديث فى هذا الباب أقوى منه وهى صحيحة فهى أولى بالاحتجاج والاستدلال بها. وهذا رأى له وجاهته.

إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر به إلى النار فيقول: يا رب لماذا؟ فيقول الله تعالى: لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كذبًا.

وعن رسول الله ﷺ: أنه قال يومًا لأصحابه: «اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محرومًا» ثم قال ﷺ: «أتدرون من الشقى المحروم؟ قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: تارك الصلاة».

وروى أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وأن فى جهنم واديا يقال له: الملحم فيه حيات كل حية[1] ثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

(**حكاية**)،روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت: يا رسول الله إنى أذنبت ذنبًا عظيمًا وقد تبت منه إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على، فقال لها موسى عليه السلام: وما ذنبك؟ قالت: يا نبى الله إنى زنيت وولدت ولدًا فقتلته، فقال لها موسى عليه السلام: اخرجى يا فاجرة لا تنزل نارًا[2] من السماء فتحرقنا بشؤمك، فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى الرب تعالى يقول لك: لمَ رددت التائبة؟ يا موسى أما وجدت شرا منها؟ قال موسى: يا جبريل ومن شر منها؟ قال: تارك الصلاة عامدًا متعمدًا.

(**حكاية أخرى**)،عن بعض السلف أنه أتى أختا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارًا فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيًا حزينًا فقال: يا أماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل؟ قالت: ما سؤالك عنها؟ قال: يا أمى رأيت قبرها يشتعل عليها نارًا، قال: فبكت وقالت: يا ولدى: كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها. فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلّى؟! فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها فى أوقاتها إنه جواد كريم.

---

(١) وصف حيات جهنم جاء فى حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى عند أحمد والطبرانى عن طريق ابن لهيعة عن دراج عنه وكذا رواه ابن حبان فى صحيحه عن طريق عمرو بن الحارث عن دراج عنه وقال الحاكم: صحيح الإسناد اهـ منذرى.

(٢) أى حتى لا تنزل نارًا.

(فصل): فى عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها وقد روى فى تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٤، ٥) أنه الذى ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه يصلى فصلى الرجل ثم جاء فسلَّم على النبى ﷺ فرد عليه السلام ثم قال له: «ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبى ﷺ فرد عليه السلام ثم قال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثلاث مرات، فقال فى الثالثة: والذى بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمنى، فقال ﷺ «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم اجلس حتى تطمئن جالسًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا وافعل ذلك فى صلاتك كلها». وروى الإمام أحمد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود» ورواه أبو داود أيضًا والترمذى وقال: حديث صحيح، وفى رواية أخرى: «حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود».

وهذا نص عن النبى ﷺ فى أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان، فصلاته باطلة وهذا فى صلاة الفرض[1] وكذا الطمأنينة أن يستقر كل عضو فى موضعه.

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «أشد الناس سرقة الذى يسرق من صلاته» قيل: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها، ولا القراءة فيها»[2] وروى الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده»[3].

وقال ﷺ: «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعًا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»[4].

---

(١) وكذا فى صلاة النفل والتطوع فالطمأنينة شرط فى صحة الصلاة الفرض أو النفل، ثم إن رسول الله ﷺ قال: «وافعل ذلك فى صلاتك كلها» ولم يقل فى صلاتك الفرض أو فى صلاة الفرض وإنما قال فى صلاتك كلها أى اطمئن فى كل ركعات صلاتك الفرض والنافلة والله أعلم.

(٢) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى قتادة قاله العراقى وكذا رواه أحمد وابن خزيمة فى صحيحه بلفظ: «أسوأ الناس» إلخ أفاده المنذرى.

(٣) بإسناد صحيح قاله العراقى.

(٤) متفق عليه منْ حديث أنس.

وعن أبى موسى قال: صلى رسول الله ﷺ يومًا بأصحابه ثم جلس فدخل رجل فقام يصلى فجعل يركع وينقر سجوده فقال رسول الله ﷺ: «ترون هذا؟ لو مات مات على غير ملة محمد - ﷺ - ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم» أخرجه أبو بكر بن خزيمة فى صحيحه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصلٍّ إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها إلى الله تعالى وإن لم يتمها ضربا بها وجهه» وروى البيهقى بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال[1] «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فيتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتنى ثم صُعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور وفتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها، وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها إلا قالت الصلاة: ضيعك الله كم ضيعتنى ثم صُعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها»[2].

وعن سلمان الفارسى[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة مكيال فمن وفَّى وفِّى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين» قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين:١) والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع (القياس) أو الصلاة وعدهم الله بويل وهو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه.

وعن ابن عباس[4] -رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «إذ سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض، فإن الله تعالى أوحى إلىَّ أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين، وأن لا أكف شعرًا ولا ثوبًا فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته».

---

(١) رواه الدارقطنى فى الأفراد وهو ضعيف اهـ من الجامع الصغير للسيوطى.

(٢) رواه الطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقى، قلت: جاء ضعفه من الأحوص بن حكيم.

(٣) فى المسند عن سالم بن أبى الجعد عن سلمان قاله ابن القيم فى رسالته فى الصلاة، قلت فيه انقطاع بين سالم وسلمان.

(٤) حديث ابن عباس أمر النبى ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء إلخ متفق عليه، وروى إسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه فى فوائده عن عكرمة عن ابن عباس: «إذا سجد أحدكم فليضع أنفه على الأرض فإنكم قد أمرتم بذلك» اهـ نيل الأوطار (من تحقيقنا).

وروى البخارى عن حذيفة بن اليمان -رضى الله عنهما-: رأى رجلا يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة: ما صليت ولو مِت وأنت تصلى هذه الصلاة مِت على غير فطرة محمد ﷺ.

وفى رواية أبى داود أنه قال: منذ كم تصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة، قال: ما صليت منذ أربعين سنة شيئًا ولو مِت مِتَّ على غير فطرة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وكان الحسن البصرى يقول: يا ابن آدم أى شىء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة، كما تقدم من قول النبى ﷺ: «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من الفريضة شيئًا يقول الله تعالى: انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك»[1].

فينبغى للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه، وبالله التوفيق.

(فصل)؛ فى عقوبة تارك الصلاة -فى جماعة- مع القدرة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم: ٤٢، ٤٣) وذلك يوم القيامة يغشاهم ذلة الندامة وقد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود.

قال إبراهيم التيمى: يعنى إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة، وقال سعيد ابن المسيب: كانوا يسمعون: «حى على الصلاة، حى على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.

وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين تخلفوا عن الجماعة فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة فى الجماعة مع القدرة على إتيانها، وأما من السنة فما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم

---

(١) رواه الترمذى وغيره وقال: حسن غريب اهـ منذرى.

بالنار»[1]، ولا يتوعد بحرق بيوتهم بالنار إلا على ترك واجب مع ما فى البيوت من الذرية والمتاع.

وفى صحيح مسلم: أن رجلاً أعمى أتى النبى ﷺ: فقال: يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد وسأل النبى ﷺ أن يرخِّص له أن يصليَ فى بيته فرخص له فلما ولَّى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة»؟ قال: نعم قال: «فأجب» ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم: أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير شاسع الدار -أى بعيد الدار- ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى؟ فقال: «هل تسمع النداء»؟ قال: نعم، قال: «فأجب فإنى لا أجد لك رخصة».

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة فى مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد ومع هذا لم يرخص له النبى ﷺ فى الصلاة فى بيته، فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له؟ ولهذا لما سئل ابن عباس -رضى الله عنهما- عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع (لا يصلى صلاة الجمعة) فقال: إن مات على هذا فهو فى النار[٢].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصًا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب[٣].

وروى[٤] عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر، قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التى صلى» يعنى فى بيته.

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لعنهم الله: من تقدم قومًا وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حى على الصلاة، حى على الفلاح، ثم لم يجب».

---

(١) وفى رواية «والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرِّق عليهم» متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي موقوفًا قاله المنذرى.

(٣) عزاه الشيخ ابن القيم فى كتاب الصلاة له إلى وكيع عن عبد الرحمن بن حصين عن أبى نجيح المكى عنه.

(٤) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه قاله المنذرى.

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد، قيل: ومن جار المسجد؟ قال: من سمع الأذان[١].

وروى[٢] البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يأتى الله غدًا مسلمًا - يعنى يوم القيامة- فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلّى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف أو حتى يجئ إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة.

وكان الربيع بن خيثم[٣] قد سقط فى الفالج فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين فيقال له: يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلى فى بيتك أنت معذور، فيقول: هو ما تقولون ولكن أسمع المؤذن يقول: «حى على الصلاة، حى على الفلاح» فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفًا أو حبوا فليفعل.

وقال حاتم الأصم: فاتتنى مرة صلاة الجماعة فعزانى أبو إسحاق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف إنسان لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا.

وقال ابن عمر: خرج عمر يومًا إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة، أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه، والحائط: البستان فيه النخل.

(فصل): ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد فإن النبى ﷺ قال: «إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين -يعنى العشاء والفجر- ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوا»[٤].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن وكيع عن سفيان عن أبى حيان التيمى عن أبيه كما فى كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم.

(٢) عزاه فى الترغيب والترهيب إلى صحيح مسلم وأبى داود وكذلك عزاه المصنف فى الصغرى والطيبى نقله عن الفتح فما هنا من عزوه للبخارى سبق قلم أو تحريف من النساخ والله أعلم.

(٣) مخضرم (حضر الجاهلية والإسلام) قال له ابن مسعود، لو رآك النبى ﷺ لأحبك، توفى سنة ٦٤ اهـ خلاصة.

(٤) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قاله المنذرى.

وقال ابن عمر: كنا إذا تخلف منا إنسان فى صلاة العشاء والصبح فى الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق[1].

(حكاية): عند عبيد الله بن عمر القواريرى[2] ﷺ قال: لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط، فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وأغلقت المساجد فرجعت إلى بيتى فقلت: قد ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة فصليت العشاء سبعًا وعشرين مرة ثم نمت فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل وأنا أيضًا على فرس ونحن نستبق وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم فالتفت إلى أحدهم فقال لى: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا، قلت: ولم؟ قال: لأنا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك، فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم.

٥- الكبيرة الخامسة «منع الزكاة»

قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ **(آل عمران: ١٨٠)** وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ **(فصلت: ٦، ٧)** فسماهم المشركين وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ **(التوبة: ٣٤، ٣٥)**.

وثبت[3] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم

---

(١) رواه البزار والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه، قاله المنذرى ويظهر لنا من الحديث مدى حرص الصحابة على صلاة الجماعة وسؤالهم عمن تخلف عن الجماعة.

(٢) هو شيخ البخارى ومسلم وأبى داود مات سنة ٢٣٥ هـ اهـ خلاصة.

(٣) رواه البخارى ومسلم بهذا اللفظ والنسائى مختصرًا اهـ منذرى.

القيامة بطح لها بقاع قرقر[1] أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحدًا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء[2] ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها[3] كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

وقال ﷺ: «أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلَّط وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله تعالى من ماله وفقير فخور»[4].

وعن ابن عباس[5] -رضى الله عنهما- قال: من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج أو تجب فيه زكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت، فقال له رجل: اتق الله يا ابن عباس، فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال ابن عباس: سأتلو عليك بذلك قرآنا قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ (المنافقون: ١٠) أى أؤدى الزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: ١٠) أى أحج، قيل له: فيم تجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتى درهم وجبت الزكاة، وقيل فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.

ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح إذا كان معداً للاستعمال فإن كان مُعداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة.

وتجب فى قيم عروض التجارة، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه -أى بشدقيه- فيقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠) أخرجه البخارى.

---

(١) هو المستوى من الأرض الأملس.

(٢) العقصاء الملتوية القرن والجلحاء: التى لا قرن لها، والعضباء: المكسورة القرن.

(٣) الأظلاف للبقر والغنم كالحافر للفرس.

(٤) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة اهـ منذرى.

(٥) عزاه ابن كثير فى تفسيره إلى الترمذى بسنده إلى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه مرفوعًا، ثم قال وهو عن ابن عباس من قوله أصح، قال ابن كثير: ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع اهـ.

وعن ابن مسعود[1] رضي الله عنه فى قوله تعالى فى مانعى الزكاة: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ (التوبة: ٣٥)، قال: لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته.

فإن قيل: لمَ خص الجباه والجنوب والظهور بالكى؟ قيل: لأن الغنى البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبيه فإذا قرب منه ولى بظهره فعوقب بكل هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

قال ﷺ[2]: «خمس بخمس، قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة[3] إلا فشا فيهم الموت[4] ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»[5].

(موعظة) قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم -إنما فى غد ثبورهم- ما نفعهم ما جمعوا- إذ جاء محذورهم- يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم- فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم- يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، أخذ المال إلى دار ضرب العقاب فجعل فى بودقة[6] ليحمى ليقوى العذاب فصفح صفائح كى يعم الكى الإهاب (الجلد) ثم جىء بمن عن الهدى قد غاب - يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم - ثم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - إذا لقيهم الفقير لقى الأذى - فإن طلب منهم شيئًا طار[7] منهم لهب الغضب كالجذوة[8] - فإن لطفوا به قالوا: أعنتكم ذا - وسؤال هذا لذا[9] - ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا -

(١) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد صحيح اهـ منذرى.

(٢) ذكره بنحو هذا اللفظ المنذرى وقال: رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد اهـ.

(٣) أى الزنا.

(٤) وفى نسخة: الجنون.

(٥) أى الغيث (المطر) وتحتمل عدم إجابة الدعاء أيضًا والله أعلم.

(٦) البودقة أو البوتقة هو ما يصهر فيه الفلزات كالحديد والذهب والفضة.

(٧) وفى نسخة نار.

(٨) الجذوة: الجمرة الملتهبة -بضم الجيم وتفتح- جمعها جذى مثل مدى وقرى وتكسر أيضًا فتكسر فى الجمع مثل جذية وجذى اهـ المصباح المنير.

(٩) وفى نسخة: لهذا.

واعجبًا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم - سيأخذها الوارث منهم من غير تعب - ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب إلا أن الشوك له وللوارث الرطب - أين حرص الجامعين أين عقولهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - لو رأيتهم فى طبقات النار - يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار - وقد غلت اليمين مع اليسار لما[1] بخلوا مع الإيسار - لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم - وقد ضج صبورهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - كم كانوا يوعظون فى الدنيا وما فيهم من يسمع - كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع - كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع - فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعًا أقرع - فما هى عصا موسى ولا طورهم- يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

(حكاية): رُوى عن محمد بن يوسف[2] الفريابى قال: خرجت أنا وجماعة من أصحابى[3] فى زيارة سنان رحمه الله فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال: قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية فقلنا: أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه؟ قال: بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب، فقلنا له: هل أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره إذ صوت من قبره يقول: آه أقعدونى وحيدًا أقاسى العذاب، قد كنت أصلى قد كنت أصوم، قال: فأبكانى كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله وإذا القبر يشتعل عليه وفى عنقه طوق من نار فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت أصابعى ويدى ثم أخرج إلينا يده فإذا هى سوداء محترقة، قال: فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه فقلنا: فما كان أخوك يعمل فى الدنيا؟ قال: كان لايؤدى الزكاة من ماله، فقلنا: هذا تصديق قوله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ

---

(١) وفى نسخة: مما.

(٢) هو صاحب الثورى وأحمد وإسحاق والبخارى ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفى سنة ٢١٢ هـ.

(٣) مما يدل على التخليط والاختلاف فى هذه الحكاية ما ذكر فى آخرها أنهم أتو أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكروا له القصة، وقد توفى أبو ذر قبل ولادة محمد بن يوسف الفريابى بأكثر من ثمانين سنة فكيف يلتقيان؟!.

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠) وأخوك عجل له العذاب فى قبره إلى يوم القيامة، قال: ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له: يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك فقال: أولئك لا شك أنهم فى النار وإنما يريكم الله فى أهل الإيمان لتعتبروا قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: ١٠٤) فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم.

٦- الكبيرة السادسة «إفطار يوم من رمضان بلا عذر»

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٣، ١٨٤).

وثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: «بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وقال ﷺ[1]: «من أفطر يومًا من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه» وعن ابن عباس رضي الله عنه: «عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان، فمن ترك واحدة منهن فهو كافر» نعوذ بالله من ذلك.

الكبيرة السابعة «ترك الحج مع القدرة عليه»

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).

وقال النبى ﷺ[2]: «من ملك زادًا وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً» وذلك لأن[3] الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).

---

(١) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية ابن المطوس وقيل: أبى المطوس عن أبيه عن أبى هريرة وذكره البخارى تعليقًا غير مجزوم ويذكر عن أبى هريرة رفعه.. إلخ، قال البخارى: لا أدرى يسمع أبوه من أبى هريرة أم لا، وقال ابن حبان: لا يحتج بما انفرد به والله أعلم اهـ منذري وقال المصنف في الصغرى: هذا لم يثبت اهـ.

(٢) رواه الترمذي والبيهقي من رواية الحارث -أى الأعور- عن على، قال الترمذى، غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقى من حديث أبى أمامة اهـ منذرى.

(٣) وفى نسخة بأن، وفى نسخة أن.

وقال عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليه الجزية، وما هم بمسلمين.

وعن ابن عباس[2] رضي الله عنه قال: ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند موته، فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، قال: وإن ذلك فى كتاب الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ (المنافقون: ١٠) أى أؤدى الزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: ١٠) أى أحج ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١١) قيل: فيم تجب الزكاة؟ قال: بمائتى درهم وقيمتها من الذهب، قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه.

٨- الكبيرة الثامنة «عقوق الوالدين»

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣) أى برا بهما وشفقة وعطفًا عليهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ (الإسراء: ٢٣) أى لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا وينبغى أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوى وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما، ثم قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣) لينا لطيفًا ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره، قال ابن عباس رضي الله عنه: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها:

إحداها: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩، النور: ٥٤) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (النور: ٥٦) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

---

(١) رواه سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى قال: قال عمر فذكره قاله ابن كثير فى تفسيره.

(٢) تقدم فى منع الزكاة.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: ١٤) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه، ولذا قال النبى ﷺ: «رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين»[١].

وعن ابن عمرو -رضى الله عنهما- قال: جاء رجل يستأذن النبى ﷺ فى الجهاد معه فقال النبى ﷺ: «أحى والدك» قال: نعم قال: «ففيهما فجاهد» مخرَّج[٢] فى الصحيحين فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد.

وفى الصحيحين[٣] أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين»[٤] فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك، وفى الصحيحين أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر» وعنه ﷺ قال[٥]: «لو علم الله شيئًا أدنى من الأف لنهى عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار» وقال ﷺ: «لعن الله العاق لوالديه»، وقال ﷺ: «لعن الله من سب أباه لعن الله من سب أمه»[٦] وقال ﷺ[٧] «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجِّل لصاحبه» يعنى العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة.

وقال كعب الأحبار رحمه الله: إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليجعل له العذاب، وإن الله ليزيد فى عمر العبد إذا كان بارًا بوالديه ليزيده برًا وخيرًا، ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا[٨] فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبى يريد أن يجتاح مالى؟ فقال ﷺ: «أنت ومالك

---

(١) رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو ورجع وقفه عليه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وله شاهد عن أبى هريرة عند الطبرانى بلفظ: طاعة إلخ اهـ منذرى.

(٢) وكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص اهـ منذرى.

(٣) وكذا رواه الترمذى ثلاثتهم من حديث أبي بكر اهـ.

(٤) تمامه: وكان متكئا فجلس وقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

(٥) رواه الديلمى من حديث أحرم بن حوشب بسنده إلى الحسين بن على، وأحرم كذاب قاله فى ذيل اللآلئ للسيوطى.

(٦) رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عباس اهـ منذرى.

(٧) رواه الحاكم من حديث أبى بكرة وقال صحيح الإسناد. اهـ منذرى.

(٨) رواه ابن ماجه من حديث يوسف بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رجلاً جاء النبى ﷺ فذكره، وكذا أخرجه من هذا الوجه الطحاوى وبقى بن مخلد والطبرانى فى الأوسط وله طرق أخرى عدها السخاوى فى المقاصد الحسنة.

لأبيك»، وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو؟ قال: هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهم، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانهما.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما[1] عن أصحاب الأعراف: من هم وما الأعراف؟ فقال: أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار وإنما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا فى الجهاد فمنعهم القتل فى سبيل الله عن دخول النار ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة، فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره.

وفى الصحيحين[2] أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال ثم من؟ قال: «أبوك، ثم الأقرب فالأقرب» فحض على بر الأم ثلاث مرات وعلى بر الأب مرة واحدة وما ذاك إلا لأن الأم عناءها أكثر وشفقتها أعظم مما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل.

رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف حول الكعبة فقال: يا ابن عمر أترانى جازيتها؟ قال ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيرًا.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم

---

(١) رواه سعيد بن منصور عن أبى معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المدنى عن أبيه عن النبى ﷺ، وكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن أبى معشر به وروى مرفوعًا عند ابن ماجه فى حديث ابن عباس وجابر وتوقف ابن كثير فى صحة المرفوع وقال: وقصارها أن تكون موقوفة اهـ ورأى ابن كثير له وجاهته ويرتاح له القلب، والمعروف عند جمهور العلماء أن أهل الأعراف قوم استوت حسناتهم بسيئاتهم، فقد يكون ما جاء فى هذا الحديث خاص من العام والله أعلم.

(٢) وفى نسخة: وفى الصحيح.

(٣) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد (قال الحافظ) المنذرى فيه إبراهيم بن خيثم بن عراك وهو متروك اهـ ترهيب.

ظلمًا والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا» وقال ﷺ[1]: «الجنة تحت أقدام الأمهات» وجاء رجل[2] إلى أبى الدرداء رضي الله عنه: قال يا أبا الدرداء إنى تزوجت امرأة وإن أمى تأمرنى بطلاقها، فقال: أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه»وقال[3] ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده»، وقال ﷺ[4]: «الخالة بمنزلة الأم» أى فى البر والإكرام والصلة والإحسان، وعن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه: «يا موسى وقِّر والديك، فإن من وقر والديه مددت فى عمره ووهبت له ولدًا يوقره ومن عق والديه قصرت فى عمره ووهبت له ولدًا يعقه».

وقال أبو بكر بن أبى مريم: قرأت فى التوراة أن من يضرب أباه يُقتل، وقال وهب: قرأت فى التوراة: على من صك والده الرجم.

وعن عمرو بن مرة الجهنى[5] قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وأديت الزكاة وحججت البيت فماذا لى: فقال رسول الله ﷺ: «من فعل ذلك كان مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين: إلا أن يعق والديه» وقال ﷺ: «لعن الله العاق والديه»[6] وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة أسرى بى أقوامًا فى النار معلقين فى جذوع من نار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: الذين يشتمون آبائهم وأمهاتهم فى الدنيا».

وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض، ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى

---

(١) روى نحوه ابن ماجه والنسائى والحاكم من حديث جاهمة بلفظ: «هل لك أم»؟ قال: نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة تحت رجلها» اهـ منذرى.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال: صحيح وابن حبان نحوه، وله شاهد عن ابن عمر رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان، قال الترمذى: حسن صحيح اهـ منذرى.

(٣) قال المنذرى: وفى رواية حسنها الترمذى فذكره كما هنا عن أبى هريرة ثم قال: وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند الطبرانى بإسناد صحيح اهـ ترغيب ملخصًا.

(٤) صححه الترمذى قاله المصنف فى رسالته الصغرى.

(٥) رواه أحمد والطبرانى بإسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما باختصار اهـ منه.

(٦) قال المصنف فى الصغرى: إسناده حسن.

تختلف فيه أضلاعه - وأشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المشرك والزانى والعاق لوالديه.

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حين يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله والنظر إليها أفضل من كل شىء، وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله ﷺ يختصمان فى صبى لهما، فقال الرجل: يا رسول الله ولدى خرج من صلبى وقالت المرأة: يا رسول الله حمله خفا ووضعه شهوة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين كاملين، فقضى به رسول الله ﷺ لأمه[1].

(موعظة) أيها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسى لما يجب عليه الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك وهى تحت أقدام أمك، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبنا وأطارت لأجلك وسنا، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذاء، وصيرت حجرها لك مهدًا، وأنالتك إحسانًا ورفدا، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارًا، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارً فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك فشبعت وهى جائعة ورويت وهى قانعة، وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير وطال عليك عمرها وهو قصير وهجرتها وما لها سواك نصير، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف، ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين، وفى أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الحج: ١٠).

لأمك حق لو علمت كثيراً ... كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى ... لها من جواها أنة وزفير

وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة ... فمن غصص كاد الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير

---

(١) روى أحمد وأبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن جده نحو هذا الحديث.

وتفديك مما تشتكيه بنفسها ومن ثديها شراب لديك نمير

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها حنانًا وإشفاقًا وأنت صغير

فآها لذى عقل ويتبع الهوى وآها لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب فى عميم دعائها فأنت لما تدعو إليه فقير

حكى[1] أنه كان فى زمن النبى ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ: إن زوجى علقمة فى النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله، فأرسل النبى ﷺ عمَّارًا وصهيبًا وبلالاً وقال: «امضوا إليه ولقنوه الشهادة» فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع فجعلوا يلقنونه: «لا إله إلا الله» ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة، فقال النبى ﷺ: «هل من أبويه أحد حى»؟ قيل يا رسول الله أم كبيرة السن، فأرسل إليها رسول الله ﷺ وقال الرسول: قل لها: إن قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقرى فى المنزل حتى يأتيك»[2] قال: فجاء إليها الرسول[3] فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت: نفسى فداء أنا أحق بإتيانه فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها: يا أم علقمة أصدقينى وإن كذبت جاء الوحى من الله تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت يا رسول الله كان كثير الصلاة كثير الصوم كثير الصدقة، قال رسول ﷺ: فما حالك؟ قالت: يا رسول الله أنا عليه ساخطة، قال ولمَ؟ قالت: يا رسول الله كان يؤثر علىَّ زوجته ويعصينى، فقال رسول الله ﷺ: إن سخط أم علقمة حجب

---

(١) فى الترغيب والترهيب: روى عن عبد الله بن أبى أوفى قال: كنا عند النبى ﷺ فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه، فذكر قصة نحو هذه القصة التى هنا ثم قال: رواه الطبرانى وأحمد مختصرًا، أهـ وذكرها ابن الجوزى في الموضوعات بدون تسمية الشاب ثم قال: لا يصح فائد - أى ابن عبد الرحمن العطار - متروك، وقال العقيلى: لا يتابع عليه داود - يعنى ابن إبراهيم قاضي قزوين - كذاب اهـ، ونازعه السيوطى بأن داود لم ينفرد به، ثم ساقه إلى الخرائطى فى مساوئ الأخلاق والبيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى أوفى نحوه.

(٢) هذه أخلاق النبوة وآداب الإسلام فعلينا أن نتأسى بها ونقتدى برسولنا الذى قال «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا».

(٣) أى الواسطة أو المرسال الذى أرسله رسول الله ﷺ إلى المرأة.

لسان علقمة عن الشهادة، ثم قال: يا بلال انطلق واجمع لى حطبًا كثيرًا، قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال: أحرقه بالنار بين يديك، قالت: يا رسول الله ولدى، لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى، قال: يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فإن سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة، فقالت: يا رسول الله إنى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت عن ولدى علقمة، فقال رسول الله ﷺ: انطلق يا بلال وانظر هل يستطيع أن يقول «لا إله إلا الله» أم لا فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول «لا إله إلا الله» فدخل بلال فقال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه، ثم مات علقمة من يومه فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام على شفير قبره وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار من فضَّل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها، فرضا الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها»[1] فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رءوف رحيم.

٩- الكبيرة التاسعة: «هجر الأقارب»

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد ﷺ: ٢٢، ٢٣) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢٠، ٢١) وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أى بالقرآن ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٦، ٢٧) أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد.

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « لا يدخل الجنة قاطع رحم» فمن

---

(١) على كل عاق أن يتعظ من هذه القصة ويسترضى والديه حتى يرضيا عنه. وإن كانا ماتا فليترحم عليهما وليتصدق عنهما.

قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد محروم عن دخول الجنة إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم، وقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لا يقبل الله منه صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة»[1] وإن كان فقيرًا وصلهم بزيارتهم والتفقد لأحوالهم لقول النبى ﷺ: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام».

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»[2] وفى الحديث عن رسول ﷺ أنه قال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى من إذا قطعت رحمه وصلها».

وقال ﷺ: «يقول الله تعالى: «أنا الرحمن وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته»[3] وعن على بن الحسين رضي الله عنه أنه قال لولده: يا بنى لا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعونا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع.

وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه[4] أنه جلس يحدِّث عن رسول الله ﷺ فقال: أُحرِّج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها، فقالت له عمته: ما جاء بك يا ابن أخى فقال: إنى جلست إلى أبى هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال: أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا، فقالت عمته: ارجع إلى أبى هريرة واسأله لم ذلك؟ فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله: لمَ لا يجلس عندك قاطع رحم، فقال أبو هريرة: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم» وحكى أن رجلاً من الأغنياء حج إلى بيت الله الحرام فلما وصل إلى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسومًا بالأمانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات، فلما وقف بعرفات ورجع إلى مكة

---

(١) رواه الطبرانى ورواته ثقات من حديث أبى هريرة وفى سنده عبد الله بن عامر الأسلمى قال أبو حاتم: ليس بالمتروك اهـ منذرى.

(٢) رواه البخارى واللفظ له، والترمذى اهـ منذرى.

(٣) رواه أبو داود والترمذى: من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، وقال الترمذى حسن صحيح، وتعقب المنذرى تصحيحه بأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه شيئًا.

(٤) عزاه فى الترغيب والترهيب إلى الأصبهانى من رواية عبدالله بن أبى أوفى وأشار إلى ضعفه، وعزاه فى الجامع الصغير إلى الأدب المفرد للبخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى، وضعفه.

وجد الرجل قد مات فسأل أهله عن ماله فلم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله، فقالوا له: إذا كان نصف الليل فأت زمزم[1] وانظر فيها وناد: يا فلان باسمه فإن كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة، فمضى الرجل ونادى فى زمزم فلم يجبه أحد فجاء إليهم وأخبرهم فقالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦) نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال إنه على فم جهنم فانظر فيها بالليل وناد: يا فلان فإن كان من أهل النار فسيجيبك منها، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى: يا فلان فأجابه، فقال: أين ذهبى؟ قال دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم أئتمن عليه ولدى فأتهم واحفر هناك تجده، فقال له: ما الذى أنزلك هنا وكنا نظن بك الخير؟ فقال كان لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه وتعالى وأنزلنى الله هذه المنزلة.

وتصديق ذلك فى الحديث الصحيح قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع» يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهن من الأقارب، فنسأل التوفيق لطاعته إنه جواد كريم.

١٠- الكبيرة العاشرة: «الزنـــا»

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦٨، ٧٠).

---

(١) قال الإمام ابن القيم فى كتابه الروح: وأما من قال: إن أرواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها ولا قول صاحب يوثق به، وليس بصحيح فإن تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من أن نسمة المؤمنين طائر معلق فى ثمر الجنة، وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها اهـ وناقش ما قيل فى أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضر موت - مناقشة طويلة فى آخرها: ولعلها مما تلقاه - يعنى قائله - من أهل الكتاب اهـ، فراجعه فى مسألة مستقر الأرواح من كتابه المذكور.

وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

قال العلماء: هذا عذاب الزانية والزانى فى الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة فى العمر فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا، كذلك ثبت فى السنة عن النبى ﷺ، فإن لم يستوف القصاص عنهما فى الدنيا وماتا من غير توبة فإنهما يعذبان فى النار بسياط من نار.

كما ورد أن فى الزبور مكتوبًا إن الزناة معلقون بفروجهم فى النار يضربون عليها بسياط من حديد فإذا استغاث من الضرب نادته الزبانية: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحى منه.

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[١] وقال ﷺ[٢]: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان».

وقال ﷺ: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[٣] وفى الحديث قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر»[٤] وفى رواية زيادة (والديوث: الذى يرضى الفاحشة من أهله).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: قلت: يا رسول الله أى الذنب أعظم عند الله تعالى؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» فقلت: إن ذلك لعظيم، ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت ثم أى؟ قال: «أن تزنى بحليلة جارك»[٥] - يعنى زوجة جارك - فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة.

(٢) رواه أبو داود والترمذى والبيهقى من حديث أبى هريرة قاله المنذرى وقال المصنف فى صغراه: هذا على شرط البخارى ومسلم.

(٣) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة أفاده المنذرى.

(٤) رواه مسلم والنسائى من حديث أبى هريرة. (٥) تقدم تخريجه فى الكبيرة الأولى (الشرك).

إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦٨، ٧٠) فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل إلا بالحق وهذا الحديث مخرَّج من الصحيحين.

وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب وفيه: أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات، قال فاطلعت فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا - أى صاحوا من شدة حره - فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الزناة والزوانى يعنى من الرجال والنساء - فهذا عذابهم إلى يوم القيامة[(١)]. نسأل الله العفو والعافية.

وعن عطاء[(٢)] فى تفسير قوله تعالى عن جهنم: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ (الحجر: ٤٤) قال: أشد تلك الأبواب غما وحرا وكربا وأنتنها ريحا للزناة الذين ركبوا الزنا بعد العلم، وعن مكحول الدمشقى[(٣)] قال: يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون: ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة فيقال لهم: هذه فروج الزناة.

وقال ابن زيد[(٤)] أحد أئمة التفسير: إنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة، وفى العشر الآيات التى كتبها الله تعالى لموسى عليه السلام: ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهى، فإذا كان هذا شأن الخطاب لنبيه عليه السلام فكيف بغيره؟!.

وجاء عن النبى ﷺ أن إبليس يبث جنوده فى الأرض ويقول لهم: أيكم أضل مسلمًا ألبسته التاج على رأسه فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجئ إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته: فيقول: ما صنعت شيئًا سوف

---

(١) رواه البخارى فى حديث طويل.

(٢) عطاء إما ابن رباح اليمانى نزيل مكة أحد فقهاء التابعين وأئمتهم المتوفى فى سنة ١١٤هـ، وإما ابن يسار المدنى أحد الأعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣ .

(٣) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعى وغيره، مات سنة ١١٣ هـ.

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، جده أسلم وعبد الرحمن ضعيف فى الحديث من قبل حفظه توفى ١٨٢هـ.

يتزوج غيرها، ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول ما صنعت شيئًا سوف يصالحه، ثم يجئ الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى زنى، فيقول إبليس: نِعم ما فعلت، فيدنيه ويضع التاج على رأسه، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده.

وعن أنس[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الإيمان فإن تاب إليه رده عليه» وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة، فأما التى فى الدنيا: فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر، وأما التى فى الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار»[٢] وعنه ﷺ أنه قال: «من مات مصرّاً على شرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو نهر يجرى فى النار من فروج المومسات»[٣] يعنى الزانيات يجرى من فروجهن قيح وصديد فى النار ثم يسقى ذلك لمن مات مصرّاً على شرب الخمر.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى فرج لا يحل له»[٤] وقال أيضًا ﷺ: «فى جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه، وإن فى جهنم واديا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم ثم تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد».

---

(١) رواه البيهقى فى حديث أبى هريرة قاله المنذرى، ونحوه عند أبى داود، والترمذى والحاكم اهـ ترغيب وترهيب.

(٢) رواه ابن الجوزى فى موضوعاته عن أبى نعيم فى الحلية من حديث مسلمة بن على بن أبى عبد الرحمن الكوفى عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة به، ومسلمة متروك وأبو عبد الرحمن الكوفى مجهول، وكذا رواه البيهقى فى الشعب من هذه الطريق، وله طرق أخرى ساقطة عن أنس وعلى اهـ من اللآلئ المصنوعة.

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ونحوه اهـ ترغيب.

(٤) روى أحمد والطبرانى من طريق ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى نحوًا مما هنا كما فى الترغيب للمنذرى.

وورد أيضًا أن من زنى بامرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه فى القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها فى حسناته هذا إن كان بغير علمه فإن علم وسكت حرَّم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة: أنت حرام على الديوث وهو الذى يعلم بالفاحشة فى أهله ويسكت ولا يغار.

وورد أيضًا أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة إلى عنقه فإن قبَّلها قرضت شفتاه فى النار فإن زنى بها نطقت فخذه وشهدت يوم القيامة وقالت: أنا للحرام ركبت فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول: ما فعلت.

فيشهد عليه لسانه فيقول: أنا بما لا يحل نطقت، وتقول يداه أنا للحرام تناولت، وتقول عيناه: أنا للحرام نظرت، وتقول رجلاه: أنا لما لا يحل مشيت، ويقول فرجه: أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة: وأنا سمعت، ويقول الآخر: وأنا كتبت ويقول الله تعالى: «وأنا اطلعت وسترت» ثم يقول الله تعالى: «يا ملائكتى خذوه ومن عذابى أذيقوه فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه منى» وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤).

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح[1] الحارث بن جَزء الزبيدى حديثًا نحوا مما هنا كما فى الترغيب للمنذرى.

وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله. فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا إنه جواد كريم.

١١- الكبيرة الحادية عشرة: «اللـــواط»

قد قص الله عز وجل علينا فى كتابه العزيز قصة قوم لوط فى غير موضع من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (هود: ٨٢) أى من طين طبخ حتى صار كالآجر ﴿مَّنضُودٍ﴾ (هود: ٨٢) أى يتلو بعضه بعضا ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ (هود: ٨٣) أى معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ (هود: ٨٣) أى فى خزائنه التى لا يتصرف فى شىء منها إلا

---

(١) قال المصنف فى الصغرى: والعهدة عليه - أى على الحارث - فى هذا التصحيح.

بإذنه: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٣) ما هى من ظالمى هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب.

ولهذا قال النبى ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط»[1] ولعن من فعل فعلهم ثلاثًا فقال: «لعن الله من عَمل عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط»، وقال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[2] قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: ينظر أعلى بناء فى القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التى حرم الله لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ (الشعراء: ١٦٥، ١٦٦) أى مجاوزون من الحلال إلى الحرام.

وقال تعالى فى آية أخرى مخبرًا عن نبيه لوط عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٤) وكان اسم قريتهم سدوم وكان أهلها يعملون الخبائث التى ذكرها الله سبحانه فى كتابه، كانوا يأتون الذكران من العالمين فى أدبارهم ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكرات.

ورُوِى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر وحل الإزار ورمى البندق والحذف بالحصى واللعب بالحمام الطيارة والصفير بالأصابع وفرقعة الأكعب وإسبال الإزار وحل أزر[3] الأقبية وإدمان الخمر وإتيان الذكور وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء.

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «سحاق النساء بينهن زنا»[4] وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله تعالى» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: المتشبهون من الرجال بالنساء

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حسن غريب، والحاكم، قال: صحيح الإسناد اهـ منذرى.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه، كلهم من رواية عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن معين ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس معنى هذا اهـ منذرى فى ترهيبه.

(٣) بضم الهمزة وسكون الزاى كذا ضبطه فى المنجد وقال: هو معقد الإزار اهـ. والمراد هنا -والله أعلم- محل معقد الإزار من الأقبية.

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير قاله فى الجامع الصغير وإسناده لين قاله المصنف فى صغراه.

والمتشبهات من النساء بالرجال والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الذكر - يعنى اللواط»[1] وروى أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله تعالى وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) إلى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل[٢].

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ويقول: ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول به - يعنى اللواط - وناكح البهيمة وناكح الأم وبنتها وناكح يده إلا أن يتوبوا».

وروى أن قومًا يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا، كانوا يعبثون فى الدنيا بمذاكيرهم، وروى أن من أعمال قوم لوط اللعب بالنرد والمسابقة بالحمام والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بين الكباش والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص الكيل والميزان ويل لمن فعلها.

وفى الأثر: من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر، وقال ابن عباس[٣] رضى الله عنهما: إن اللوطى إذا مات من غير توبة فإنه يمسخ فى قبره خنزيرًا.

وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكرًا أو امرأة فى دبرها»[٤] وقال أبو سعيد الصعلوكى: سيكون فى هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون وهم ثلاثة أصناف: صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث.

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا لما صح عن النبى ﷺ أنه قال: «زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش وزنا الرِّجل الخُطا وزنا الأذن الاستماع، والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه»[5] ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الإعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى من طريق محمد بن سلام الخزاعى ولا يعرف، عن أبيه عن أبى هريرة قال البخارى: لا يتابع على حديثه اهـ منذرى.

(٢) ذكر السيوطى حديثًا نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة من أبى شيبة بخط مغربي لم يعرف كاتبه فذكر سندًا إلى أنس قال: وكتب غيره عليه، هذا إسناد واه لين موضوع اهـ ذيل اللآلئ والذى تطمئن إليه النفس أن هذا ليس بحديث وقد يكون من الإسرائيليات والله أعلم.

(٣) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات مرفوعًا وقال: لا يصح مروان بن محمد يروى المناكير وإسماعيل ابن أم درهم لا يحتج به.

(٤) رواه الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه.

(٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داود بنحو مما هنا.

ومجالستهم، وقال الحسن بن ذكوان[1]: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صور العذارى فهم أشد فتنة من النساء وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد إليه، وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد فى مكان واحد، وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد فى بيت أو حانوت أو حمام قياسًا على المرأة لأن النبى ﷺ قال: «ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[2] ومن المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم وأنه يمكن فى حقه من الشر ما لا يمكن فى حق المرأة فهو بالتحريم أولى، وأقاويل السلف فى التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم الأنتان لأنهم مستقذرون شرعًا وسواء فى كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره، ودخل سفيان الثورى[3] الحمام فدخل عليه صبى حسن الوجه فقال: أخرجوه عنى أخرجوه فإنى أرى مع كل امرأة شيطانًا وأرى مع كل صبى حسن بضعة عشر شيطانًا.

وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمه الله ومعه صبى حسن فقال الإمام ماذا منك؟ قال ابن أختى قال لا تجئ به إلينا مرة أخرى ولا تمشيا معًا فى طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك سوءا.

وروى[4] أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبى ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبى ﷺ خلف ظهره وقال: «إنما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر» وأنشدوا شعرًا:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

والمرء مادام ذا عين يقلِّبها ... فى أعين الغير موقوف على الخطر

---

(١) الحسن بن ذكوان البصرى أبو سلمة يروى عن الحسن وابن سيرين.

(٢) ذكره الترمذى وروى نحوه الطبرانى من حديث أبى أمامة وأشار المنذرى وقال غريب اهـ.

(٣) سفيان بن سعيد الثورى أبو عبد الله الكوفى أحد الأعلام قال الخطيب كان الثورى إمامًا من أئمة المسلمين وعلمًا من أعلام الدين مجمعًا على أمانته مع الإتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفى بالبصرة سنة ١٦١ اهـ خلاصة ملخصا.

(٤) رواه الديلمى بسنده إلى الحسن عن سمرة به قال ابن الصلاح فى مشكل الوسيط لا أصل لهذا الحديث وقال الزركشى فى تخريج أحاديث الشرح الكبير: هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع وقد استدل على بطلانه بقوله ﷺ إنى أراكم من وراء ظهرى اهـ ذيل الموضوعات للسيوطى وحاشا لله أن ينظر رسول الله ﷺ إلى أمرد بشهوة.

كم نظرة فعلت فى قلـــب صاحبها فعــل السهــام بــــلا قــوس ولا وتــر

يســر ناظره مــا ضــر خــاطـــره لا مــرحـبــًا بســرور عــاد بالضــرر

كان يقال: النظر بريد الزنا وفى الحديث: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها يوم القيامة».

(فصل)؛ فى عقوبة من أمكن من نفسه طائعًا: عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه كتب إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد فى بعض النواحى رجلا يُنكح فى دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضي الله عنهم فى أمره فقال على بن أبى طالب رضي الله عنه إن هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم لوط وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر إليه أن أحرقه بالنار فأحرقه خالد رضي الله عنه.

وقال على رضي الله عنه: من أمكن من نفسه طائعا حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانًا رجيمًا فى قبره إلى يوم القيامة.

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطى مجرم، ومما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر فى سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفئ فانقلبت النار صبيا وانقلب الرجل نارًا فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وقال: يا رب ردهما إلى حالهما فى الدنيا لأسألهما عن خبرهما، فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبى فقال لهما عيسى عليه السلام: ما خبركما؟ فقال الرجل: ياروح الله إنى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الصبى فحملتنى الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما أن مت ومات الصبى صيره نارًا تحرقنى مرة وأصير نارًا أحرقه مرة، فهذا عذابنا إلى يوم القيامة. نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والتوفيق لما يحب ويرضى.

(فصل) ويلتحق باللواط إتيان المرأة فى دبرها وذلك مما حرَّمه الله تعالى ورسوله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣) أى كيف شئتم مقبلين ومدبرين فى صمام واحد أى موضع واحد، وسبب نزول هذه الآية أن اليهود فى زمن النبى ﷺ كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول، فسأل أصحاب رسول ﷺ النبى ﷺ عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية تكذيبًا لهم: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣) مجبية أو غير مجبية غير أن ذلك فى صمام واحد. أخرجه مسلم.

وفى رواية «اتقوا الدبر والحيضة» وقوله: فى صمام واحد أى: فى موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث، أى موضع لزرع الولد وأما الدبر فإنه محل النجو وذلك خبيث مستقذر، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ملعون من أتى حائضًا أو امرأة فى دبرها»(١).

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من أتى حائضًا أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد»(٢) فمن جامع امرأته وهى حائض أو جامعها فى دبرها فهو ملعون وداخل فى هذا الوعيد الشديد، وكذا إذ أتى كاهنا وهو المنجم ومن يدعى معرفة الشىء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شىء منها فصدقه.

وكثير من الجهال واقعون فى هذه المعاصى وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ولذلك قال أبو الدرداء: كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولا تكن الخامس فتهلك وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك، ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا ويسأل الله العفو والعافية عما مضى منه فى الدين والدنيا والآخرة إنه أرحم الراحمين.

١٢- الكبيرة الثانية عشرة: «أكل الربا»

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٠) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥) أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه ﴿ذَلِكَ﴾ أى ذلك الذى أصابهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ أى حلالا فاستحلوا ما حرم الله فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم المصروع كلما قام صُرع، لأنهم لما أكلوا الربا الحرام فى الدنيا أرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود قاله المنذرى.

(٢) رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه كلهم من طريق حكيم الأثرم عن أبى تميمة طريف بن خالد عن أبى هريرة، وسئل ابن المدينى عن حكيم من هو فقال: أعيانا هذا، وقال البخارى فى تاريخه الكبير: لا يعرف لأبى تميمة سماع من أبى هريرة اهـ. منذرى فى ترهيبه، قال المصنف فى الصغرى: وليس إسناده بالقائم اهـ.

وقال قتادة[1]: إن آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنونًا وذلك علم لأكله الربا يعرفهم به أهل الموقف، وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[2]: «لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا قال فيقبلون مثل الإبل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغاشهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة»، قال ﷺ: «فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس».

وفى رواية قال: «لما عرج بى سمعت فى السماء السابعة فوق رأسى رعدًا وصواعق ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء أكلة الربا[3].

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: «إذا ظهر الزنا والربا فى قرية آذن الله بهلاكها»[4] وعن عمر مرفوعًا: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»[5].

وقال ﷺ: «ما ظهر فى قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ولا يظهر فى قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت وما بخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر»[6].

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسى البصرى إمام جليل فى التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧ هـ.

(٢) عزاه ابن كثير فى تفسيره فى سورة الإسراء إلى البيهقى فى دلائل النبوة وإلى ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما كلهم من طريق أبى هارون العبدى عن أبى سعيد قال، واسم أبى هارون عمارة ابن جوين، مضعف عند الأئمة اهـ (انظر تفسير ابن كثير - من تحقيقنا).

(٣) رواه أحمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرًا والأصبهانى كلهم عن رواية على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة قاله المنذرى اهـ وعلى بن زيد هو ابن جدعان فيه كلام كثير فى تضعيفه.

(٤) رواه أبو يعلى بإسناد جيد وله شواهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم إسناده أفاده المنذرى فى ترهيبه.

(٥) رواه أبو داود وغيره من طريق إسحاق بن أسيد نزيل مصر -مختلف فيه- والحديث من رواية ابن عمر أفاده المنذرى.

(٦) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى والحاكم وقال: على شرط مسلم أفاده المنذرى.

وجاء فى حديث فيه طول[1]: أن آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة فى النهر الأحمر الذى هو مثل الدم ويلقم الحجارة وهو المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا يكلف المشقة فيه ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام فى الدنيا هذا العذاب فى البرزخ قبل القيامة مع لعنة الله له، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا».

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا، كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا لها حياضًا تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير، وهكذا الذين يتحايلون على الربا بأنواع الحيل، فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين، قال أيوب السختيانى[2] يخادعون الله كما يخادعون صبيًا لو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم، وقال ﷺ: «الربا سبعون بابا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم»[3] فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا.

وعن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال: «الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية فى الإسلام»[4]، وعنه ﷺ قال: «الربا سبعون حوبا أهونها كوقع الرجل على أمه»[5] وفى رواية: «أهونها كالذى ينكح أمه» والحوب: الإثم.

وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: الزائد والمستزيد فى النار - يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء - نسأل الله العافية.

---

(١) هو حديث سمرة الطويل فى منام رآه النبى ﷺ، رواه البخارى.

(٢) أيوب بن أبى تميمة السختيانى أبو بكر البصرى أحد الأئمة الأعلام من أكابر التابعين مات سنة ١٣١.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق، وهو من رواية البراء بن عازب وله شاهد من حديث أبى هريرة عند ابن ماجه والبيهقى عن أبى معشر وقد وثق، أفاده المنذرى.

(٤) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى وأشار المنذرى إلى ضعفه بتصديره بلفظ روى.

(٥) قال المنذرى: رواه ابن ماجه والبيهقى كلاهما عن أبى معشر وقد وثق عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة.

(فصل)، عن ابن مسعود[١] رضي الله عنه قال: إذا كان لك على رجل دَين فأهدى لك شيئًا فلا تأخذه فإنه ربا، وقال الحسن[٢] رحمه الله: إذا كان لك دَين على رجل فما أكلته من بيته فهو سحت، وهذا من قوله ﷺ: «كل قرض جر نفعا فهو ربا» وقل ابن مسعود أيضًا: من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهى سحت، وتصديقه من قوله ﷺ: «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا» أخرجه أبو داود فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة[٣].

١٣- الكبيرة الثالثة عشرة: «أكل مال اليتيم وظلمه»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى حديث المعراج: «فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بأفواههم وتخرج من أدبارهم، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا»[٤] رواه مسلم.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الله عز وجل قومًا من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم نارًا» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٥] (النساء: ١٠).

---

(١) أبو عبد الرحمن بن مسعود الصحابى الجليل توفى سنة ٣٢ هـ.

(٢) هو البصرى من كبار أئمة التابعين مات بعد سنة ١٤٠هـ.

(٣) زاد فى الصغرى: قال النبى ﷺ: «اجتنبوا الموبقات» فذكر منها آكل الربا، متفق عليه، وقال ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله» رواه مسلم والترمذى وزاد: «وشاهديه وكاتبه»، وقال ﷺ: «آكل الربا وموكله وكاتبه إذا علما ذلك ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة».

(٤) عزاه الشيخ ابن كثير فى تفسير قوله: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى﴾ إلخ، وفى سورة الإسراء من أولها إلى ابن أبى حاتم فى سنده أبو هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه كما فى التقريب فقول المصنف هنا رواه مسلم لعله سبق قلم من النساخ فحرر.

(٥) عزاه ابن كثير فى تفسيره إلى ابن مردويه وابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن عقبة بن مكرم بسنده إلى أبى برزة واسمه نضلة بن عبيد الأسلمى فعزو الحديث هنا إلى أبى هريرة لعله وهم أو من تحريف النساخ.

وقال السدى[1] رحمه الله تعالى: يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه، يعرفه من رآه أنه آكل مال اليتيم.

قال العلماء: فكل ولى ليتيم إذا كان فقيرًا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه فى مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه وما زاد على المعروف فسحت حرام لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٦).

وفى الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض.

والثانى: الأكل للحاجة من غير إسراف.

والثالث: أنه الأخذ بقدر الحاجة إذا عمل لليتيم عملاً.

والرابع: أنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه وإن لم يوسر فهو فى حل وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزى[2] فى تفسيره.

وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا»[3] وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما، وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى.

كفالة اليتيم هى القيام بأموره والسعى فى مصالحه من طعامه وشرابه حتى يغنه الله تعالى أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر. وقال ﷺ: «من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيم عنده كنت أنا وهو هكذا فى الجنة»[4] (وأشار بالسبابة والوسطى).

وقال رجل لأبى الدرداء رضي الله عنه: أوصنى بوصية، قال لك ارحم اليتيم وادنه

---

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن أبى كريم السدى -بضم السين وشد الدال- أبو محمد الكوفى صاحب التفسير صدوق ورمى بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ. اهـ تقريب.

(٢) هو الحافظ جمال الدين العربى أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على الجوزى صاحب التصانيف المشهورة البغدادى الفقيه الحنبلى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ.

(٣) رواه أبو داود والترمذى.

(٤) رواه الترمذى من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح بلفظ «من قبض» وله شواهد ذكرها المنذرى فى الترغيب.

منك وأطعمه من طعامك فإنى سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكى قسوة قلبه فقال رسول الله ﷺ: «إن أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك»(1).

ومما حكى بعض السلف قال: كنت فى بداية أمرى مكبا على المعاصى وشرب الخمر، فظفرت يومًا بصبى يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك فرأيت فى النوم أن القيامة قامت ودعيت إلى الحساب وأمر بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروننى سحبا إلى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له إلى ربى فإنه قد أحسن إلىَّ وأكرمنى، فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه، قال: فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام.

ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه - خادم رسول الله ﷺ: خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله إلى الله تعالى من اصطنع صنيعًا إلى يتيم أو أرملة. وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود- عليه السلام: «يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق واعلم كما تزرع تحصد» معناه أنك كما تفعل كذلك يُفعل معك، أى لابد أن تموت ويبقى لك ولد أو امرأة أو أرملة، وقال داود عليه السلام في مناجاته: إلهى: ما جزاء من أسعد اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى، معناه ظل عرشى يوم القيامة.

وما جاء فى فضل الإحسان إلى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين وكان نازلا ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات كانوا فى سعة ونعمة فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء واتفق خروجها فى شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت

---

(1) رواه الطبرى من رواية بقية وفيه راوٍ لم يسم قال المنذرى: وله شاهد من حديث أبى هريرة رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح قاله المنذرى.

بجمعين جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلد فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت أنا امرأة علوية معى بنات أيتام أدخلتهن بعض المساجد المهجورة وأريد الليلة قوتهم، فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة؟ فقالت أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى، فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهى امرأة شريفة غريبة وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها وببناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام وألبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده فى نعمة وكرامة، قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبى ﷺ وإذا بقصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد، فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت: أقيمى عندى البينة أنك علوية فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم، فانتبه الرجل حزينا على رده المرأة خائبة ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسى فأرسل إليه فأتاه فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها، فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهن ما لحقنى، قال خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىَّ، فقال: لا أفعل: فقال: لابد منهن، فقال: الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى أتدل علىَّ بالإسلام فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك وقال لى رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: القصر لك ولأهل دارك وأنت من أهل الجنة خلقك الله مؤمنًا فى الأزل. قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلم إلا الله، فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا.

ولهذا ثبت فى الصحيحين[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله» قال الراوى: أحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» والساعى عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى، وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه إنه جواد كريم ورؤوف غفور رحيم.

---

(١) وابن ماجه من حديث أبى هريرة قاله المنذرى.

١٤- الكبيرة الرابعة عشرة

«الكذب على الله عز وجل وعلى رسول الله ﷺ»

قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (الزمر: ٦٠) قال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، قال ابن الجوزى فى تفسيره: وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله ورسوله كفر ينقل عن الملة، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض وإنما الشأن فى الكذب عليه فيما سوى ذلك.

قال ﷺ: «من كذب علىَّ بُنى له بيت فى جهنم»[1] وقال ﷺ: «من كذب على متعمدًا فيتبوأ مقعده من النار»، وقال ﷺ: «من روى عنى حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[2].

وقال ﷺ: «إن كذب علىَّ ليس ككذب على غيرى، من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[3] وقال ﷺ: «من يقل عنى ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار» وقال ﷺ: «يطبق المؤمن على كل شىء إلا الخيانة والكذب»[4] نسأل الله التوفيق والعصمة إنه جواد كريم.

١٥- الكبيرة الخامسة عشرة: «الفرار من الزحف»

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفا لقتال أو متحيزا[5] إلى فئة وإن بعدت قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال: ١٦).

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما وقد روى عن غير واحد فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر اهـ ما قاله المنذرى فى ترغيبه.

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بلفظ: «من حدث عنى بحديث» فذكره اهـ منذرى.

(٣) رواه مسلم وغيره من حديث المغيرة يعنى ابن شعبة. اهـ منذرى.

(٤) رواه البزار وأبو يعلى من حديث سعد بن أبى وقاص ورواته رواة الصحيح وذكره الدارقطنى فى العلل مرفوعًا وقال: الموقوف أشبه بالصواب ورواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى من حديث ابن عمار مرفوعا وله شاهد عند أحمد من حديث الأعمش قال: حدثت عن أبى أمامة... فذكر نحوه أفاده المنذري فى ترغيبه.

(٥) المتحرف للقتال من يفر عن العدو لخدعة حربية، والمتحيز لفئة من يفر عن وجه العدو لينضم الى جماعة المجاهدين وجملتهم.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ (الأنفال: ٦٥)فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٦٦)فكتب أن لا يفر مائة من مائتين، رواه البخارى.

١٦- الكبيرة السادسة عشرة: «غش الإمام الرعية وظلمه لهم»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢)وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (ابراهيم: ٤٢، ٤٣)وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)وقال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٩).

وقال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا»[2] وقال عليه السلام: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[3] وقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[4] وقال رسول الله ﷺ: «إيما راع غش رعيته فهو فى النار»[5]، وقال ﷺ: «من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة»، وأخرجه البخارى وفى لفظ[6] «يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

(١) تقدم تخريجه مرارا وأنه متفق عليه.
(٢) رواه مسلم من حديث أبى هريرة.
(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث ابن عمر.
(٤) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر.
(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أنس ورواته ثقات إلا عبد الله بن ميسرة أبا ليلى وشواهده الصحيحة كثيرة عن معقل بن يسار فى الصحيحين وعن ابن عباس وغيرهما.
(٦) يعنى البخارى أيضًا.

وقال ﷺ: «ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه فإن مال ألقاه فهوى فى جهنم أربعين خريفًا» رواه الإمام أحمد(١).

وقال رسول الله ﷺ: «ويل للأمراء ويل للعرفاء ويل للأمناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شىء»(٢).

وقال ﷺ: «ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى ثمرة قط»(٣) وقال ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه إما أطلقه عدله أو أوبقه جوره»(٤).

ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم من ولى من أمر هذه الأمة فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه»(٥)، وقال ﷺ: «من ولاَّه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجاتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره»(٦).

وقال ﷺ: «سيكون أمراء فسقة جورة فمن صدقهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منهم ولن يرد على الحوض»(٧) وقال: ﷺ: «صنفان من أمتى لن تنالهم شفاعتى: سلطان ظلوم غشوم وغال فى الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم»(٨) وقال ﷺ: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة إمام جائر»(٩) وفى الحديث أن رسول الله ﷺ: قال: «يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم، إن الأحبار من اليهود

---

(١) وروى ابن ماجه والبزار نحوًا من هذا فى حديث ابن مسعود وفى إسنادهما مجالد وابن سعيد مختلف فيه، أفاده المنذرى.

(٢) رواه أحمد عن أبى هريرة مرفوعًا من طرق رواة بعضها ثقات قاله المنذرى فى موضع وقال فى موضع: رواه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة ورجال البزار رجال الصحيح وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند أحمد وعن أبى الدرداء عند ابن حبان، أفاده المنذرى.

(٤) رواه أحمد وابن حبان من حديث عائشة اهـ منه.

(٥) رواه مسلم والنسائى عن عائشة.

(٦) رواه أبو داود والترمذى عن أبى مريم عمرو بن مرة الجهنى.

(٧) رواه أحمد والترمذى وصححه النسائى والبزار بألفاظ متقاربة من حديث كعب بن عُجْرة.

(٨) رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة ورجاله ثقات اهـ. منه.

(٩) رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود ورواته ثقات إلا ليث بن سليم اهـ.

والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عمهم بالبلاء»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٢]، «ومن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً» وفى الحديث أيضا: «من لا يرحم لا يُرحم لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[٣] وقال ﷺ: «الإمام العادل يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»[٤] وقال: «المقسطون على منابر من نور: الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا»[٥].

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن قال: «إياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»[٦]، وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة» فذكر منهم الملك الكذاب[٧] وقال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة» رواه البخارى، وفيه أيضًا: «وإنا والله لا نولى هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه».

وقال رسول الله ﷺ: «يا كعب بن عجرة أعاذك الله من إمارة السفهاء، أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى»[٨] وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار»[٩].

وقال: «ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة»[١٠] وقال عمر لأبى ذر رضي الله عنه: حدثنى بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: أبو ذر: سمعت

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث عائشة.

(٢) رواه الأصبهانى من حديث ابن عمر وأشار المنذرى إلى ضعفه.

(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث جرير بن عبد الله، وله شواهد من حديث أبى موسى، وابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وغيرهم والسنن المسند والطبرانى.

(٤) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة فى ضمن حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله.

(٥) رواه مسلم، والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٦) رواه البخارى.

(٧) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة.

(٨) رواه أحمد والبزار ورواته محتج بهم فى الصحيح قاله المنذرى.

(٩) رواه أبو داود اهـ منه.

(١٠) تمامه: «فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» رواه البخارى والنسائى من حديث أبى هريرة.. المنذرى.

رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعًا لله فى عمله مضى به وإن كان عاصيًا لله فى عمله انخرق به الجسر فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عامًا»[1]، فقال عمر: من يطلب العمل بها يا أبا ذر؟ قال: من سلت لله أنفه وألصق خده بالتراب.

وقال عمرو بن المهاجر: قال لى عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إذا رأيتنى قد ملت عن الحق فضع يدك فى تلبابى ثم قل: يا عمر ما تصنع؟!.

يا راضيًا باسم الظلم كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم والحق الحاكم، ولا حجة لك فيما تخاصم، القبر مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل فخلص نفسك، والعمر كيوم فبادر بنفسك، تفرح بمالك والكسب خبيث، وتمرح فى آمالك والسير حثيث، إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة، فإذا رأيت ظلما قد سطا فنم له، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة، أى قروح فى الجسد.

١٧- الكبيرة السابعة عشرة: «الكبر»

الكبر: الفخر والخيلاء والعجب والتيه قال الله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ٢٧) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣) وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يتبختر فى مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[2].

وقال ﷺ: «يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان»[3].

وقال بعض السلف: أول ذنب عصى الله به الكبر قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤) فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس.

---

(١) روى نحوه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة أن بشر بن عاصم الجشمى حدث عمر فذكر وأن عمر سأل سلمان وأبا ذر فصدقاه، قاله المنذرى وضعفه.

(٢) رواه البخارى والنسائى وغيرهما بنحوه من حديث ابن عمر وشواهده من حديث أبى سعيد الخدرى وجابر وأبى هريرة وأقربها إلى ما هنا لفظ أبى هريرة عن البخارى ومسلم كما فى المنذرى.

(٣) تمامه: «يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال» رواه النسائى والترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله ابن عمرو بن العاص اهـ.

وعن النبى ﷺ قال: «لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال ذرة من كبر» رواه مسلم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨) وقال ﷺ: «قال الله تعالى: العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار» رواه مسلم، المنازعة: المجاذبة.

وقال ﷺ: «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة: مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: أوثرت بالجبارين والمتكبرين»[1] الحديث وقال تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨) أى لا تمل خدك معرضًا متكبرًا، والمرح: التبختر.

وقال سلمة بن الأكوع: «أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله قال: كل بيمينك، قال لا أستطيع، فقال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبر، فما رفعها إلى فيه بعد» رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ مستكبر»[2] العتل: الغليظ الجافى، والجواظ الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال فى مشيته، وقيل: البطين.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «ما من رجل يختال فى مشيته ويتعاظم فى نفسه إلا لقى الله وهو عليه غضبان»[3] وصح من حديث أبى هريرة: «أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط -أى ظالم- وغنى لا يؤدى الزكاة وفقير فخور»[4] وفى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»، والمسبل: هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار»[5].

وأشر الكبر: الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاظم فى نفسه بفضيلته فإن هذا لم ينفعه علمه فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل

---

(١) تمامه: «فقضى الله بينهما أنك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء وأنك النار عذابى أعذب بك من أشاء ولكليكما ملؤها» رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى اهـ منذرى.

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث حارثة عن وهب اهـ منذرى.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ منه.

(٤) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما اهـ منه.

(٥) رواه البخارى من حديث أبى هريرة منذرى.

وقت ويتفقدها فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته، ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فهذا من أكبر الكبر ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

١٨ - الكبيرة الثامنة عشرة «شهادة الزور»

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (الفرقان: ٧٢) الآية، وفى الأثر: «عدلت شهادة الزور الشرك بالله تعالى مرتين»[1] وقال تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠) وفى الحديث: «لا تزال قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار»[2]، قال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور قد ارتكب عظائم، أحدها الكذب والافتراء قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨) وفى الحديث «يطبع المؤمن على كل شىء ليس الخيانة والكذب»[3].

وثانيها: أنه أظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته: ماله وعرضه وروحه.

وثالثها: أنه ظلم الذى شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال ﷺ: «من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار»[4].

ورابعها: أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»[5] فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء.

١٩ - الكبيرة التاسعة عشرة «شرب الخمر»

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ

---

(١) هذا الحديث من رواية خزيم بن فاتك، مرفوعًا فذكره قال: ثم قرأ **﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور، حنفاء لله غير مشركين به﴾** (الحج: ٣٠، ٣١) رواه أبو داود وهذا لفظه والترمذى وابن ماجه ورواه الطبرانى فى الكبير موقوفًا على ابن مسعود بإسناد حسن اهـ منذرى.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن عمر بلفظ: «لن تزول» إلخ.

(٣) تقدم فى الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه.

(٤) متفق عليه من حديث أم سلمة ونحوه فى أبي داود اهـ مشكاة.

(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث أبى بكر اهـ منه وتمنوا سكوته شفقة عليه ﷺ.

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١) فقد نهى عز وجل فى هذه الآية عن الخمر وحذر منها وقال النبى ﷺ: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله»[1] قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء: ١٤) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك[2].

وذهب[3] عبد الله بن عمر إلى أن الخمر أكبر الكبائر وهى بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها فى غير حديث[4] وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها فى الآخرة»[5] رواه مسلم، وروى مسلم[6] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال» قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار أو عصارة أهل النار».

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر فى الدنيا يحرمها فى الآخرة».

وذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن، رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مدمن الخمر كعابد وثن».

وذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة: روى النسائى من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر»[7]

---

(١) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ: «فإنها مفتاح كل شر».
وقال: صحيح الإسناد وفى حديث عثمان مرفوعا «اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم» إلخ فذكر قصة، رواه ابن حبان والبيهقى مرفوعًا وموقوفًا وذكر أنه المحفوظ اهـ منذرى.

(٢) رواه الطبرانى وقال: رجاله رجال الصحيح اهـ منذرى.

(٣) رواه الطبرانى مع قصة بإسناد صحيح ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ. منه.

(٤) من حديث ابن عمر عن أبى داود وابن ماجه حديث أنس عن ابن ماجه والترمذى، وحديث ابن عباس عن أبى داود وأحمد وابن حبان والحاكم.

(٥) رواه البخارى وأبو داود والترمذى والبيهقى.

(٦) والنسائى أيضًا.

(٧) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وفى رواية: «ثلاثة قد حرم عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث» وهو الذى يقر السوء فى أهله.

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة إلى السماء: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو»[1].

والخمر: ما خامر العقل أى غطاه سواء أكان رطبًا أو يابسًا أو مأكولاً أو مشروبًا، وعن أبى سعيد الخدرى: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام فى جسده شىء منها»[2] وفى رواية: «من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئًا ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا فإن تاب ثم عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من مُهل جهنم» وقال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أربعين ليلة فإن مات فيها مات كعابد وثن وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال، وقيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار: القيح والدم»[3].

وقال عبد الله بن أبى أوفى: من مات مدمنا للخمر مات كعابد اللات والعزى، قيل: أرأيت مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها؟ قال: لا ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين.

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمنا حين يشربها:

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد» أخرجه البخارى[4]، وفى الحديث: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»[5] وفيه: «من شرب

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقى والطبرانى فى الأوسط اهـ منه.

(٢) ذكره فى اللآلئ المصنوعة عن عبد بن حميد بسنده إلى أبى سعيد الخدرى.

(٣) روى بألفاظ نحو مما هنا أقربها حديث عبد الله بن عمر عند الترمذى وحسنه الحاكم والنسائى ووقفه عليه مختصرًا، أفاده المنذرى.

(٤) ورواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وقوله: «والتوبة معروضة بعد» من زيادة مسلم وأبى هريرة أفاده المنذرى، وحين يشربها أى وقت شربها.

(٥) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة اهـ منه.

الخمر ممسيا أصبح مشركًا ومن يشربها مصبحًا أمسى مشركًا» وفيه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن رائحة الجنة لتوجد من مسير خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن»[١] روى الإمام أحمد من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات أى الزانيات - يؤذى أهل النار ريح فروجهن»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثنى رحمة وهدى للعالمين بعثنى لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية، وأقسم ربى تعالى بعزته: لا يشرب عبد من عبيدى جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم، ولا يدعها من مخافتى إلا سقيته إياها فى حظائر القدس مع خير الندماء»[٣].

ذكر من لُعن فى الخمر:

روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها»[٤] ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «أتانى جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها ومستقيها»[٥].

ذكر النهى عن عيادة شاربى الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لا تعودوا -أى تزوروا- شراب الخمر إذا مرضوا، قال البخارى: وقال ابن عمر: لا تسلموا على شربة الخمر، وقال ﷺ: «لا تجالسوا شرَّاب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودّاً وجهه مدلعا لسانه على صدره يسيل لعابه، يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر»[٦].

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة وأشار المنذرى إلى ضعفه اهـ منه.

(٢) ورواه ابن أبى ليلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه اهـ منه.

(٣) رواه أحمد من حديث أبى أمامة من طريق على بن زيد الألهانى وفيه خلاف والأكثر على تضعيفه اهـ منه.

(٤) رواه من حديث ابن عمر بلفظ: «لعن الله الخمر» إلخ، ولفظ: «وآكل ثمنها» من زيادة ابن ماجه وشاهده من حديث أنس عند الترمذى وابن ماجه كما فى المنذري.

(٥) أى بسند صحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح اهـ.

(٦) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات عن ابن عدى بسنده إلى ابن عمر وقال: موضوع فيه ضعفاء ليث وجعفر بن الحارث أبو الأشهب وأبو مطيع، وله طرق أخرى لا ترفعه عن الحضيض.

قال بعض العلماء: إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم فى قوله: «لعن الله الخمر وشاربها» الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعونا مرتين وإن سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه.

ذكر أن الخمر لا يحل التداوي بها:

عن أم سلمة ﵂ قالت: اشتكت ابنة لى فنبذت لها فى كوز فدخل علىَّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا أم سملة»؟ فذكرت له أنى أداوى به ابنتى فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتى فيما حرَّم عليها»[1].

ذكر أحاديث متنوعة رويت في الخمر:

من ذلك ما ذكره أبو نعيم في الحلية عن أبى موسى ﵁ قال: أتى النبى ﷺ بنبيذ فى جرة له نشيش فقال: «اضربوا بهذا الحائط فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر».

قال رسول الله ﷺ: «من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجئ يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة» وجاء عن النبى ﷺ: «حتى يوقف بين يدى الله تبارك وتعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصمه» (غلبه).

ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر: يا فلان لا جزاك الله عنى خيرًا فأنت الذى أوردتنى هذا المورد، ويقول الآخر مثل ذلك» وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساودة (الحيات) شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء فى إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام».

---

(١) رواه البيهقى وأبو يعلى وشاهده عن ابن مسعود عند أحمد والحاكم والبخارى عن ابن مسعود بصيغة الجزم.

ويدخل فى قوله ﷺ: «كل مسكر خمر»: الحشيشة كما سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى، روى أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهرالخبال فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لأحرقت السماوات من حرها، نعوذ بالله منها.

ذكر بعض الآثار عن السلف فى الخمر:

ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوبا. وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه فقال: لا أقولها وأنا برئ منها ثم مات، فخرج الفضيل من عنده وهو يبكى ثم رآه بعد مدة فى منامه وهو يسحب به إلى النار فقال له: يا مسكين بم نزعت منك المعرفة؟ فقال: يا أستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال لى تشرب فى كل سنة قدحًا من الخمر وإن لم تفعل تبقى بك علتك فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى. فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء.

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتًا مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا: كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة.

وقال بعض الصالحين: مات لى ولد صغير، فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه فقلت: يا ولدى دفنتك وأنت صغير فما الذى شيبك؟ فقال: يا أبت دفن جنبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها، نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة.

فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يدركه الموت وهو على أشر حالة فيلقى فى النار، نعوذ بالله منها.

(فصل): والحشيشة المصنوع من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها كما يحد شارب الخمر، وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنها تفضى إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين فى حدها ورأى أن أكلتها تعزَّر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج، ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلام، وليس كذلك بل أكلتها ينتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر حتى لا يصبروا عنها، ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك، ولكن لما كانت جامدة مطعومة ليست شرابًا تنازع العلماء فى نجاستها على ثلاثة أقوال فى مذهب الإمام أحمد وغيره، فقيل هى نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح، وقيل: لا لجمودها، وقيل: يفرق بين جامدها ومائعها، وبكل حال فهى داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى. قال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن «البتع» وهو من العسل ينبذ حتى يشتد و«المزر» وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد؟ قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال ﷺ: «كل مسكر حرام» رواه مسلم، وقال ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروبًا على أن الخمر قد يصنع بها يعنى الخبز وهذه الحشيشة تشرب وتؤكل وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وإنما حدثت فى مجىء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل فى وصفها ... شعر:

فآكلها وزارعها حلالاً   فتلك على الشقى مصيبتان

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً   عشت فى أكلها بأقبح عيشه

قيمة المرء جوهر فلماذا   يا أخا الجهل بعته بحشيشه

(حكاية)، عن عبد الملك بن مروان أن شاباً جاء إليه باكيًا حزينا فقال: يا أمير المؤمنين إنى ارتكبت ذنبًا عظيما فهل لى من توبة؟ فقال: وما ذنبك؟ قال: ذنبى عظيم، قال: ما هو؟ فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات قال: يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمورًا عجيبة، قال: وما رأيت؟ قال: يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبرًا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول فى القبر: ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت: لماذا حول؟ قال: لأنه مستخفاً

بالصلاة هذا جزاء مثله، ثم نبشت قبرا آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرًا وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لى: ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذَّب؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة، والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتاد من نار وخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت الخروج فنوديت ألا تسأل عن حاله لماذ ابتلى؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله، والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارًا فخفت وأردت الخروج فقيل: ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت: وما حاله؟ فقال: كان تاركا للصلاة والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتنى منه هيبة وأردت الخروج فقيل: لى هلاَّ تسأل عن حاله لماذا أُكرم بهذه الكرامة؟ فقلت: لماذا أكرم؟ فقيل لى: لأنه كان شابّاً طائعا نشأ فى طاعة الله عز وجل وبشارة للطائعين. فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة، جعلنا الله وإياكم من الطائعين وجنبنا أفعال الفاسقين إنه جواد كريم.

٢٠- الكبيرة العشرون «القمار»

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ **(المائدة: ٩٠، ٩١)** والميسر هو القمار بأى نوع: من نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ذلك، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ **(البقرة: ١٨٨)** وداخل فى قول النبى ﷺ: «إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»(١) وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق» فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل؟!

(فصل): اختلف العلماء فى النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن فاتفقوا على

(١) رواه البخارى كما قاله المؤلف فى الرسالة الصغرى.

تحـريم اللعب بالنرد لما صح عن رسـول الله ﷺ أنه قـال: «من لعب بـالنردشـيـر فكأنما صبغ يده فى لحم الخنـزير ودمـه» أخـرجـه مسلم، وقـال ﷺ : «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»[1] وقال ابن عمر رضى الله عنهما: اللعب بالنرد قمار كأكل لحم الخنزير واللعب بها من غير قمار كالدهن بودك الخنزير.

قال: وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء أكان برهن أو بغيره، أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف، وأما إذا خلا من الرهن فهو أيضًا قمار حرام عند أكثر العلماء، وحتى إباحته فى رواية عن الشافعى إذا كان فى الخلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة فى وقتها، وسئل النووى رحمه الله عن اللعب بالشطرنج: أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى: هو حرام عند أكثر أهل العلم، وسئل أيضًا رحمه الله تعالى عن لعب الشطرنج: هل يجوز أم لا وهل يأثم اللاعب بها أم لا؟ أجاب رحمه الله تعالى: إن فوَّت به الصلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام وإلا فمكروه عند الشافعى وحرام عند غيره، وهذا كلام النووى فى فتاويه.

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين فى قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ (المائدة: ٣) إلى قوله: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ (المائدة: ٣) قال سفيان ووكيع بن الجراح: هى الشطرنج، وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: الشطرنج ميسر الأعاجم، ومر رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال: ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها ثم قال: والله لغير هذا خلقتم، وقال أيضًا رضي الله عنه: صاحب الشطرنج أكذب الناس يقول أحدهم: قتلت وما قتل ومات وما مات، وقال أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه: لا يلعب بالشطرنج إلا خاطئ، وقيل لإسحاق بن راهويه: أترى فى اللعب بالشطرنج بأس؟ فقال: البأس كله فيه، فقيل له: إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب، فقال: أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة - أو قال: يحشرهم يوم القيامة - مع أصحاب الباطل.

وسئل ابن عمر -رضى الله عنهما- عن الشطرنج فقال: هى أشر من النرد، وتقدم الكلام على تحريمه، وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال: الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مالاً ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فأحرقها، ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها

---

(١) رواه مالك وأبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقى قال الحاكم: صحيح على شرطهما.

مال اليتيم ولكن لما كان اللعب بها حرام أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد فى مال اليتيم وجبت إراقته كذلك الشطرنج وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه، قيل لإبراهيم النخعى: ما تقول فى اللعب بالشطرنج؟ فقال: إنها ملعونة.

وروى أبو بكر الأثرم[1] فى جامعه عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب -يعنى لاعب الشطرنج- لأنه يقول شاه مات» وروى أبو بكر الآجرى بإسناده عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم فإنهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ولأنهم يكذبون عليها فيقولون: شاه مات» وروى عنه ﷺ: أنه قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيام صاحب الشاه - يعنى صاحب الشطرنج - ألا تراه يقول: قتلته، والله ما مات، والله افترى وكذب على الله»[2].

وقال مجاهد: ما من ميت يموت إلا مُثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فقال: شاهك ثم مات، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته فى اللعب فقال عوض كلمة الإخلاص: شاهك، وهذا كما جاء فى إنسان آخر ممن كان يجالس شرَّابَ الخمر أنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال: له : اشرب واسقنى ثم مات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وهذا كما جاء فى حديث «يموت كل إنسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه»[3] فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدِّلين ولا مغيِّرين ولا ضالين ولا زائغين إنه جواد كريم.

---

(١) أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم البغدادى صاحب الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣هـ وهذا الحديث لم أعثر على تخريجه.

(٢) قال المنذرى فى الترغيب: وقد ورد ذكر الشطرنج فى أحاديث لا أعلم لشىء منها إسنادًا صحيحًا ولا حسنًا والله أعلم وهذا أيضًا لم أعثر على تخريجه.

(٣) روى مسلم بلفظ آخر: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»، ذكره فى أسنى المطالب.

٢١- الكبيرة الحادية والعشرون «قذف المحصنات»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٣، ٢٤) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤).

بيَّن الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون فى الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم وعليه فى الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وإن كان عدلاً، وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة: يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة، أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة، أو يقول لولدها: يا ولد الزانية، أو يا ابن القحبة، أو يقول لبنتها: يا بنت الزانية أو بنت القحبة، فإن القحبة عبارة عن الزانية فإذا قال أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأته كمن قال لرجل: يازانى أو قال لصبى حر: يا علق أو منكوح، وجب عليه الحد ثمانون جلدة إلا أن يقيم بينة بذلك والبينة ما قال الله: أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذلك الرجل، فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التى قذفها أو إذا طالبه بذلك الذى قذفه وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه: يا زانى أو لجاريته: يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة لما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال» وكثير من الجهال واقعون فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبة، ففى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرجل يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها[1] فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» فقال له معاذ بن جبل: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك[2] يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» وفى الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[3] وقال تبارك وتعالى فى كتابه

---

(١) يزل: أى يهوى، من الزلل بالزاى.

(٢) أى فقدتك ولا يقصد معناه وإنما يجرى على لسانهم عفوًا.

(٣) رواه البخارى ومسلم فى ضمن حديث إكرام الضيف والنهى عن أذى الجار.

العزيز: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨) وقال عقبة بن عامر: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسي»[١].

وقال ﷺ: «إن أبغض الناس إلى الله الفاحش الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام»[٢] وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنّه وكرمه إنه جواد كريم[٣].

٢٢- الكبيرة الثانية والعشرون «الغُلول من الغنيمة»

وهي من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٦١) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغُلول[٤] فعظَّمه وعظم أمره ثم قال: «لا ألفين[٥] أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[٦] يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[٧] فيقول: يا رسول أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[٨] يقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عنه.

(٢) في معناه حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» رواه النسائي في سننه الكبرى في التفسير منها والحاكم وصححه وكذلك حديثه: «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وحديث ابن مسعود «ولا البذي» رواه الترمذي بإسناد صحيح، أفاده العراقي.

(٣) فائدة: قال المؤلف في الصغرى: وأما من قذف أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بعد نزول براءتها من السماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفرًا.

(٤) غل فلان غُلُولاً: أي خان في المغنم أو غيره (المعجم الوجيز ص ٤٥٣).

(٥) أي لا أجدن.

(٦) الرغاء: صوت البعير.

(٧) الحمحمة: صوت الفرس.

(٨) الثغاء: صوت الشاة.

لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد أبلغتك» أخرج هذا الحديث مسلم[1].

قوله: على رقبته رقاع تخفق أى ثياب وقماش، قوله: على رقبته صامت: أى من ذهب أو فضة، فمن أخذ شيئًا من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين، أو من بيت المال وبغير إذن الإمام، أو من الزكاة التى تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته كما ذكر الله تعالى فى القرآن: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٦١).

ولقول النبى ﷺ: «أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول فإنه عار على صاحبه يوم القيامة» ولقول النبى ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم وقال: هذا لكم وهذا أهدى إلىَّ، فصعد النبى ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال: «والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله فلا أعرف رجلا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر» ثم رفع يديه ﷺ فقال: «اللهم هل بلَّغت»[2].

وعن أبى هريرة[3] قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورِقا غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ثم انطلقنا إلى الوادى (يعنى وادى القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بنى حذام (يدعى: رفاعة بن يزيد من بنى الضبيب) فلما نزلنا (الوادى) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرُمى بسهم فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذى نفسى بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارًا، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم» قال: ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين، فقال:أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ: «شراك أو شراكان - من نار» متفق عليه[4]، وعن عبد الله

---

(١) يعنى بها اللفظ وإلا فقد عزاه فى الترغيب للبخارى أيضًا وقال: واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى حميد الساعدى، الخوار: صوت البقر، واليعار: صوت الغنم اهـ منذرى.

(٣) كذا رواه أبو داود والنسائى والزيادات بين قوسين أثناء الحديث فى لفظ الحديث فى الترغيب والترهيب لم تكن فى الأصل وقد كان فيه بين لفظى: ذهبا ورقا، كلمة فضة حذفناها لعدم وجودها فى لفظ الحديث فى الترغيب لأنها تكرار لفظ ورقًا، والشملة كما قال المنذرى: كساء أصفر من القطيفة يتشح به.

(٤) رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه بنحو مما هنا كما فى المنذرى.

ابن عمرو رضي الله عنهما قال كان على ثقل رسول الله رجل يقال له: كركرة، فمات، فقال النبى ﷺ: «هو فى النار» فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها[1]، وعن زيد ابن خالد الجهنى أن رجلا غل في غزوة خيبر فامتنع النبى ﷺ من الصلاة عليه وقال: «إن صاحبكم غل فى سبيل الله» قال: ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزا من خرز اليهود ما يساوى درهمين، قال الإمام أحمد رحمه الله: ما نعلم أن النبى ﷺ امتنع من الصلاة على أحد إلا على الغال وقاتل نفسه، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «هدايا العمال غلول»[٢].

وفى الباب أحديث كثيرة ويأتى بعضها فى باب الظلم، والظلم على ثلاثة أقسام، أحدها: أكل المال بالباطل، وثانيها: ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح، وثالثها: ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف، وقد خطب النبى ﷺ بمنى فقال: «ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» متفق عليه.

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»[٣] فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

٢٣- الكبيرة الثالثة والعشرون «السرقــة»

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨) قال ابن شهاب: نكل الله بالقطع فى سرقة أموال الناس والله عزيز فى انتقامه من السارق، حكيم فيما أوجبه من قطع يده، وقال ﷺ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولكن التوبة معروضة»[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم[٥]، وعن

(١) رواه البخارى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وكان فى الأصل ابن عمر غلطا فصححناه (عمرو) والثقل محركة الغنيمة، وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما، أفاده المنذرى.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبى حميد الساعدى وله شواهد من حديث حذيفة وابن عباس وجابر، أفاده فى كشف الخفاء.

(٣) رواه مسلم من حديث ابن عمر.. اهـ مشكاة.

(٤) تقدم عزوه فيما تقدم فى الكبيرة العاشرة.

(٥) متفق عليه كما فى المشكاة وبلوغ المرام.

عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعدًا[1]، وفى رواية: قال رسول الله ﷺ: «لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن»[2]، قيل لعائشة ﵂: وما ثمن المجن؟ قالت ربع دينار، وفى رواية: قال: «اقطعوا فى ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك»[3]، وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم، الدينار اثنا عشر درهمًا.

وعن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»[4] قال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد والحبل كانوا يرون منها ما يساوى ثمنه ثلاثة دراهم.

وعن عائشة ﵂ قالت: كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ: «يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى» ثم قام النبى ﷺ خطيبًا فقال: «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[5] فقطع يد المخزومية.

وعن عبد الرحمن بن جرير[6] قال: سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق فى عنقه: أمن السنة؟ قال: أتى النبى ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت فى عنقه، قال العلماء: ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرق فإن كان مفلسًا تحلل من صاحب المال، والله أعلم.

٢٤- الكبيرة الرابعة والعشرون «قطع الطريق»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) هى لفظ مسلم كما فى بلوغ المرام.

(٣) لفظ رواية أحمد اهـ منه.

(٤) متفق عليه كما فى المشكاة.

(٥) متفق عليه. وحاشا لليد الطيبة للسيدة الطيبة أن تسرق.

(٦) رواه الترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه كذا فى المشكاة.

قال الواحدي[1] رحمه الله: معنى: ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعصونهما ولا يطيعونهما، كل من عصاك فهو محارب لك، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: بالقتل والسرقة وأخذ الأموال وحمل السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله، وهذا قول مالك والأوزاعي قال الوالبي[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أو» أدخلت للتخيير ومعناها الإباحة إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب وإن شاء نفى: وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد، وقال في رواية عطية[3]: «أو» ليست للإباحة إنما هي مرتبة الحكم باختلاف الجنايات فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أخذ المال ولم يقتل نفى من الأرض، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه، وقال الشافعي أيضًا: يحد كل بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت، فإن سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فإن عاد وسرق قطعت يده اليسرى فإن عاد وسرق قطعت رجله اليمنى لما روى عن النبي ﷺ قال في السارق: «إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ثم إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله»[4] ولأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله: ﴿مِّنْ خِلافٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: هو أن يهدر الإمام دمه فيقول: من لقيه فليقتله، هذا فيمن لم يقدر عليه فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن إذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفى منها، أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرًا:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجان يومًا لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

---

(١) هو أبو الحسن صاحب التفاسير المشهورة: «البسيط والوسيط والوجيز وأسباب نزول القرآن والتحبير في شرح أسماء الله الحسنى». وتتلمذ على يد الإمام الثعلبي المفسر المشهور وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه، توفي سنة ٤٦٨ هجرية في جمادى الآخرة أهـ من ابن خلكان بتصرف.

(٢) يعني علي بن أبي طلحة الوالبي راوية تفسير ابن عباس وإن كان في سماعه منه كلام، راجع ترجمته في الميزان للذهبي.

(٣) يعني ابن سعد العَوْفي مختلف في توثيقه صدوق يخطىء كثيرًا، وكان يدلس، أفاده في التقريب.

(٤) رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر واستنكره وأخرجه من حديث الحارث بن أبي حاطب نحوه وذكر الشافعي أن القتل في الخامسة منسوخ اهـ بلوغ المرام.

قال: فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل؟ فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك، نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم غفور رحيم.

٢٥- الكبيرة الخامسة والعشرون «اليمين الغموس»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٧٧) قال الواحدى: نزلت فى رجلين اختصما إلى النبى ﷺ فى ضيعة، فهم المدعى عليه أن يحلف فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عن اليمين وأقر بحقه، وعن عبد الله[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان»[2] فقال الأشعث: فىَّ والله نزلت، كان بينى، وبين رجل من اليهود أرض فجحدنى فقدمته إلى النبى ﷺ فقال: «ألك بينة» قلت: لا، قال لليهودى «أحلف» قلت يا رسول الله إنه إذن يحلف فيذهب بمالى، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ أي عرضا يسيرًا من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين ﴿أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ أى لا نصيب لهم فى الآخرة ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ أى بكلام يسرهم ﴿وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ نظرا يسرهم يعني الرحمة ﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يزيدهم خيرًا ولا يثنى عليهم.

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان» قال عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ إلى آخر الآية، أخرجاه فى الصحيحين، وعن أبى أمامة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان يسيرًا يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيبا من أراك» أخرجه مسلم[3] فى صحيحه، قال حفص بن ميسرة: ما أشد هذا

---

(١) هو عبد الله بن مسعود؛ فإذا ذكر عبد الله فقط فهو عادة ابن مسعود.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه مختصرًا اهـ وتفسير الآية فى آخر الحديث من صنيع المؤلف.

(٣) ورواه النسائى وابن ماجه ومالك كلهم من حديث أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى اهـ منذرى.

الحديث، فقال أليس فى كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ (آل عمران: ٧٧) الآية، وعن أبى ذر عن النبى ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات: فقال أبو ذر: خابوا وخسروا يا رسول الله من هم؟ قال: «المسبل والمنَّان والمنفق لسلعته بالحلف الكذب»[١] وقال ﷺ: «الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس» أخرجه البخارى[٢] «وسميت الغموس» لأنها تغمس الحالف فى الإثم، وقيل: فى النار[٣].

(فصل)، ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبى والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة وهى من أشد ما هنا والروح والرأس وحياة السلطان ونعم السلطان وتربة فلان.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت»[٤] وفى رواية فى الصحيح: «فمن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت».

وعن عبد الرحمن[٥] الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغى ولا بآبائكم» رواه مسلم، الطواغى: جمع طاغية وهى الأصنام ومنه الحديث: «هذه طاغية دوس» أى صنمهم ومعبودهم، وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا» ورواه أبو داود وغيره، وعنه[٦] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال: إنى برئ من الإسلام فإن كان كاذبًا فهو كما قال وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: والكعبة فقال: تحلف بغير الله؟ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(٢) ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقد تقدم مرارًا.

(٣) عبارة المنذرى: تغمس الحالف بها فى الإثم فى الدنيا وفى النار فى الآخرة، وهى أحسن مما هنا من جعلهما قولين فيها.

(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، قاله المنذرى.

(٥) كان فى الأصل أبو عبد الرحمن، وهو غلط وإنما هو عبد الرحمن بن سمرة بن أبى حبيب من مسلمة الفتح، افتتح سجستان روى له الستة، سكن البصرة، مات سنة ٥٠ هـ، أفاده فى التقريب.

(٦) أى عن بريدة رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما اهـ منه.

الترمذى وحسنه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما[١]، وقال: وفسر بعض العلماء قوله: كفر أو أشرك على التغليظ كما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الرياء شرك».

وقال ﷺ: «من حلف فقال فى حلفه واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله»[٢] وقد كان فى الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه فربما سبق لسانه إلى الحلف بها فأمر النبى ﷺ أن يبادر بقوله: لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه وبالله التوفيق.

٢٦- الكبيرة السادسة والعشرون «الظلم»

بأكل أموال الناس وأخذها ظلمًا وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدى والاستطالة على الضعفاء قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ (إبراهيم: ٤٢- ٤٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ (الشورى: ٤٢) وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

وقال ﷺ: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[٣] ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢) وقال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شىء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٤].

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادى إنى حرمت الظلم على

---

(١) أى البخارى ومسلم، وسكت على ذلك المنذرى فى ترغيبه، لكن قال المصنف فى الصغرى: إسناده على شرط مسلم وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعى عن سعد بن عبيدة.

(٢) قال فى الصغرى: متفق عليه يعنى رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم، والترمذى من حديث أبى موسى الأشعرى، قاله المنذرى.

(٤) رواه البخارى والترمذى من حديث أبى هريرة اهـ منذرى.

نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»[1] وقال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس»؟ قالوا: بلى يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتى من سب هذا وأخذ مال هذا ونبش عن عرض هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح فى النار»[2] وهذه الأحاديث كلها فى الصحاح[3] وتقدم حديث: «إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»[4] وتقدم قوله لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «من ظلم قيد شبر من الأرض يطوقه من سبع أرضين يوم القيامة»[5].

وفى بعض الكتب يقول الله تعالى: «اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد له ناصرًا غيرى» وأنشد بعضهم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن الحبارى (نوع من الطيور) لتموت فى وكرها هزالا من ظلم الظالم، وقيل: مكتوب فى التوراة: ينادى مناد من وراء الجسر - يعنى الصراط - يا معشر الجبابرة الطغاة ويا معشر المترفين الأشقياء إن الله حلف بعزته وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم.

عن جابر[6] قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال: «ألا تخبرونى بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة» فقال فتية كانوا منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن يومًا جلوسًا إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت إليه ثم قالت: سوف

---

(١) رواه مسلم والترمذى وهو من الحديث الطويل لأبى ذر.

(٢) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة.

(٣) أى في كتب الصحاح الستة.

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث طويل عن ابن عباس.

(٥) رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة وشواهده كثيرة كما فى المنذرى.

(٦) عزا المرفوع منه فى الجامع الصغير إلى ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وصححه وذكر شاهدًا له من حديث بريدة عند أبى يعلى والبيهقى وعلم عليه بالصحة أيضًا.

تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسى وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غدًا، فقال رسول الله ﷺ: «صدقت، كيف يقدس الله قومًا لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم».

إذا الظلوم استوطأ الظلم مركبا ولج عتدا فى قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له ما لم يكن فى حسابه

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «خمسة غضب الله عليهم، إن شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا وإلا أمر بهم فى الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم، وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها».

وعن عبدالله بن سَلاَم قال: إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدَّى إليه حقه، وعن وهب بن منبه قال: بنى جبار من الجبابرة قصرًا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخًا تأوى إليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟ فقيل: لامرأة فقيرة تأوى إليه فأمر به فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدومًا فقالت: من هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت يارب إذ لم أكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه.

وقيل: لما حُبس خالد بن برمك وولده قال: يا أبت بعد العز صرنا فى القيد والحبس، فقال: يا بنى دعوة المظلوم سرت بليل، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها. وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هبت أحدًا قط هيبتى رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لى: حسبى الله، الله بينى وبينك.

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعرًا:

أما والله إن الظلم شؤم وما زال المسىء هو الظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غدا عند المليك من الملوم

وعن أبى أمامة قال: «يجىء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به فما يبرح الذين ظُلموا بالذين ظَلَموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار»[1].

وعن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا (غير مختونين) بُهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أو قصة، حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدًا» قلنا: يا رسول الله كيف وإنما نأتى حفاة عراة، فقال: «بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدًا»[2] وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «من ضرب سوطًا ظلمًا اقتص منه يوم القيامة»[3] ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبًا لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يومًا وضربه ضربًا شديدًا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له: وما حملك على أن ضربتنى فى يوم كذا وكذا ضربًا وجيعا من غير جرم ولا سبب؟ فقال المعلم: اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدًا ، فقال: جزاك الله خيرًا ثم أمر له بجائزة وصرفه.

ومن الظلم أخذ مال اليتيم، وتقدم حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[4]، وفى رواية: «إن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى: «وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»[5].

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى أمامة مرفوعًا ورواته مختلف فى توثيقهم، قاله المنذرى.

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن قاله المنذري وعزاه ابن القيم فى صواعقه إلى أبى يعلى الموصلى فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد والضياء فى المختارة والطبرانى فى المعجم والسنة وغيرهم وحسن إسناده وهو من رواية عن جابر فى رحلته إلى الشام إلى عبد الله بن أنيس فذكره وعلقه البخارى فى أول صحيحه مجزومًا به وفى آخره بلفظ، ويذكر عن جابر إلخ.

(٣) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن من حديث أبى هريرة، قاله المنذرى.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه أحمد من حديث لأبى هريرة والترمذى وحسنه، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، قاله المنذري.

وأنشد شعرًا:

تَوَقَّ دعا من ليس بين دعائه ليرفع فوق السحب ثم أجاب

توق دعا من ليس بين دعائه وبين إله العالمين حجاب

ولا تحسبن الله مطرحًا له ولا أنه يخفى عليه خطاب

فقد صح أن الله قال وعزتى لأنصرن المظلوم وهو مثاب

فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه جهول وإلا عقله فمصاب

(فصل) ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغنى ظلم» وفى رواية: «لَىُّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» أى يحل شكايته وحبسه.

(فصل)، ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل فى قوله ﷺ: «لَى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١) قال: فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئًا، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق ائتوا إلى حقوقكم، قال: فيقول الله تعالى للملائكة:خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وإن كان عبدًا شقيًّا ولم يفضل له شىء فتقول الملائكة، ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه، فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صك له صكا إلى النار، ويؤيد ذلك ما تقدم عن النبى ﷺ: «أتدرون من المفلس»؟ فذكر أن المفلس من أمته من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار.

(فصل)، ومن الظلم أن يستأجر أجيرًا أو إنسانًا فى عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: «ثلاثة أنا

خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرًا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرًا استوفى منه العمل ولم يعطه أجرته» وكذلك إذا ظلم يهوديًا أو نصرانيًا أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفسه فهو داخل فى قوله تعالى: «أنا حجيجه -أو قال- أنا خصمه يوم القيامة»، ومن ذلك أن يحلف عن دين فى ذمته كاذبًا فاجرًا لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» قيل: يا رسول الله وإن كان شيئًا يسيرًا؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك».

فخف القصاص غداً إذا وفيت ما ... كسبت يداك اليوم بالقسطاس

فى موقف ما فيه إلا شاخص ... أو مهطع أو مقنع للراس

أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم ... نار وحاكمهم شديد الباس[1]

أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى ... فغداً تؤديها مع الإفلاس

وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة بها فى الدنيا كما قال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[2] وقال ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح فى النار»[3]، وروى عبد الله بن أبى الدنيا بسنده إلى أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها فى الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط، ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم، ثم يؤتى بالجبارين فى مقامع من حديد فيقال: سوقوهم

(١) حذفت الهمزة هنا فى الباس وقبلها فى الرأس وذلك للضرورة الشعرية وهو جائز ويسمى التسهيل.
(٢) رواه مسلم والترمذي من حديث أبى هريرة رضي الله عنه والجلحاءالتى ليس لها قرنان.
(٣) رواه البخارى والترمذى من حديث أبى هريرة، قاله المنذرى فى ترغيبه.

إلى النار»[1]، وكان شريح القاضى يقول سيعلم الظالمون حق من انتقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب، وروى أنه إذا أراد الله بعبده خيرًا سلط الله عليه من ظلمه. ودخل طاووس اليمانى على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤٤) فصعق هشام، فقال طاووس: هذا إذلال الصفة فكيف بذل المعاينة؟ يا راضيًا باسم الظلم كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم والحق الحاكم.

(فصل)، فى الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم: قال: الله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود: ١١٣) والركون ههنا: السكون إلى الشىء والميل إليه بالمحبة، وقال ابن عباس ﷺ: لا تميلوا كل الميل فى المحبة ولين الكلام والمودة، وقال السدى وابن زيد، لا تداهنوا الظلمة، وقال عكرمة: هو أن يعطيهم ويودهم، وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ فيصيبكم لفحها ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ وقال ابن عباس ﷺ: ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ﴿ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (هود: ١١٣) لا تمنعون من عذابه، وقال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (الصافات: ٢٢) أى أشباههم وأمثالهم وأتباعهم، وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون أمراء يغشاهم غواش - أو حواش - من الناس يظلمون ويكذبون فمن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه»[2] وعنه ﷺ عن النبى ﷺ: «من أعان ظالمًا سُلِّط عليه»[3] وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة، وقال مكحول الدمشقى ينادى منادٍ يوم القيامة: أين الظلمة وأعوانهم؟ فما أحد مد لهم خيرًا أو حبَّر لهم دواة أو برى لهم قلما فما فوق ذلك إلا حضر معهم، فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم، وجاء رجل خياط إلى سفيان الثورى فقال: إنى رجل أخيط ثياب

---

(١) رواه الطبرانى فى مسنده عن عبد الله بن عبد العزيز الليثى وهو ضعيف، ووثقه سعيد بن منصور وقال: كان مالك يرضاه.. اهـ مجمع الزوائد.

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى لا ابن مسعود كما فى المنذرى فلعل ما هنا من خطأ النساخ.

(٣) عزاه السيوطى فى جامعه الصغير إلى ابن عساكر عن ابن مسعود وأشار إلى ضعفه.

السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان، بل أنت من الظلمة أنفسهم ولكن أعوان الظلمة من يبيع لك الإبرة والخيوط.

وقد روى عن النبى ﷺ: أنه قال: «أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدى الظلمة» وعن ابن عمر ﷺ قال: الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة، الجلاوزة: أعوان الظلمة.

وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ: أن مُر ظلمة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرنى وإن ذكرى إياهم أن ألعنهم. وفى رواية: فإنى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يقف أحدكم فى موقف يضرب فيه رجل مظلوم[1] فإن اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه».

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتى رجل فى قبره فقيل له: إنا ضاربوك مائة ضربة. فلم يزل يتشفع إليهم حتى صاروا إلى ضرب واحدة فضربوه فالتهب القبر عليه نارًا، فقال: لمَ ضربتمونى هذه الضربة فقالوا: إنك: صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره»[2] فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم.

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «انصر أخاك ظالما أو مظلومًا» فقيل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»[3].

ومما حكى قال بعض العارفين: رأيت فى المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة فى حالة قبيحة فقلت له: ما حالك؟ قال: شر حال، فقلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله، قلت: فما حال الظَّلَمة عنده؟ قال شر حال أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)، ومما حكى قال بعضهم: رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ: يقتل فيه رجل ظلما.. إلخ اهـ ترغيب.

(٢) رواه الطبرانى من حديث ابن عمرو وفى سنده يحيى بن عبد الله البابلى وهو ضعيف قاله فى مجمع الزوائد وعزاه فى الترغيب إلى كتاب التوبيخ لأبى الشيخ ابن حبان، وأشار لضعفه.

(٣) رواه البخارى من حديث أنس ومسلم من حديث جابر، قاله المنذرى فيه.

وهو ينادى: من رآنى فلا يظلمن أحدًا، فتقدمت إليه فقلت له: يا أخى ما قصتك؟ قال: يا أخى قصة عجيبة، وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يومًا صيادًا، وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى فجئت إليه فقلت: أعطنى هذه السمكة فقال: لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتا لعيالى، فضربته وأخذتها منه قهرًا ومضيت بها، قال فبينما أنا أمشى بها حاملها إذا عضت على إبهامى وآلمتنى ألمًا شديدًا حتى لم أنم من شدة الوجع والألم، وورمت يدى فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال: هذه بدء الآكلة اقطعها وإلا تقطع يدك فقطعت إبهامى ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم والقرار من شدة الألم فقيل لى: اقطع كفك فقطعته وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى ألمًا شديدًا، ولم أطق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقيل لى: اقطعها إلى المرفق فقطعتها فانتشر الألم إلى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الأول فقيل: اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها فقال لى بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة فقال لى لو كنت رجعت فى أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوًا فاذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك، قال: فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبّلهما وأبكى وقلت له: يا سيدى سألتك بالله ما عفوت عنى؟ فقال لى: ومن أنت؟ قلت: أنا الذى أخذت منك السمكة غصبًا وذكرت ما جرى وأريته يدى، فبكى حين رآها ثم قال: يا أخى قد أحللتك منها لما رأيته بك من هذا البلاء، فقلت: يا سيدى بالله، هل كنت قد دعوت علىَّ لما أخذتها؟ قال: نعم، قلت: اللهم إن هذا تقوى على بقوته على ضعفى، على ما رزقتنى ظلمًا فأونى قدرتك فيه، فقلت يا سيدى قد أراك الله قدرته فىَّ وأنا تائب إلى الله عز وجل عما كنت من خدمة الظلمة ولا عدت أقف لهم على باب ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيا إن شاء الله، وبالله التوفيق.

(موعظة): إخوانى كم أخرج الموت نفسًا من دارها لم يدارها، وكم أنزل أجسادًا بجارها ولم يجارها، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها. شعر

يا معرضا بوصال عيش ناعم ستصعد عنه طائعًا أو كارهًا

إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير من أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق، وعمر النواحى وغرس الحدائق، ونال الأمانى وركب العواتق، صاح به من داره غراب بيّن ناعق، وطرقه فى لهوه أقطع

طارق وزجرت عليه وعود وصواعق، وحل به ما شيب بيض المفارق، وقلاه الحبيب الذي لم يفارق، وهجره الصديق والرفيق الصادق، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق، نازله والله الموت فلم يحاشه، وأذله بالقهر بعد عز جاشه، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه، وخرقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه، وبقى فى ضنك شديد من معاشه، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه، ما نفعه والله عبرة للمجتاز، وقطع شاسعا من السبل والأوفاز، وبقى رهينا لا يدرى أهلك أم فاز، وهذا لك بعد أيام، وما أنت فيه أحلام، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غدًا على التمام، ويقع لى ولك، ويحك أما يؤثر فيك هذا الكلام؟

٢٧- الكبيرة السابعة والعشرون «المكـاس»

وهو داخل فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: ٤٢) والمكاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق، ولهذا قال النبى ﷺ: «المكاس لا يدخل الجنة» وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس» رواه أبو داود، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدى للناس ما أخذ منهم؟ إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات، وهو داخل فى قول النبى ﷺ: «أتدرون من المفلس» قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وزكاة وصيام وحج ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار»[1].

وفى حديث المرأة التى طهرت نفسها بالرجم: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له - أو لقبلت منه»، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص، وجابى المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندى وشيخ وصاحب راية شركاء فى الوزر آكلون للسحت والحرام، وصح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت، النار أولى به» والسحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

---

(١) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة فى الترغيب للمنذرى.

وذكره الواحدى[1] رحمه الله فى تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ (المائدة: ١٠) وعن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتى وإنى قد جمعت من بيعها مالاً، فهل ينفعنى ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن أنفقته فى حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب» فأنزل الله تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (المائدة: ١٠٠) قال عطاء والحسن: الحلال والحرام، فنسأل الله العفو والعافية.

(موعظة): أين من حصن الحصون المشيدة واحترس، وعمر الحدائق فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس، وظن فى نفسه البقاء ولكن خاب الظن فى النفس، أزعجه والله هادم اللذات واختلس، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس، وتركه فى ظلام ظلمه من الجهل والدنس، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب فى خلس. شعر:

تبنى وتجمع والآثار تندرس ... وتأمل اللبث والأعمار تختلس

ذا اللب فكر فما فى العيش من طمع ... لابد ما ينتهى أمر وينعكس

أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا

ومن سيوفهم فى كل معترك ... تخشى ودونهم الحجَّاب والحرس

أضحوا بمهلكة فى وسط معترك ... صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا

وعمهم حدث وضمهم جدث ... باتوا فهم جثث فى الرمس قد حبسوا

وكأنهم قَط ما كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهم بين الورى ونُسوا

والله لو عاينت عيناك ما صنعت ... أيدى البلا بهم والدود يفترس

لعاينت منظراً تشجى القلوب له ... وأبصرت منكراً من دونه البلس

من أوجه ناضرات حار ناظرها ... وليس تبقى لهذا وهى تنتهس

وأعظُمٌ باليات ما بها رمق ... فى رونق الحسن منها كيف ينطمس

(١) ذكره فى تفسيره الوسيط بلا سند وقاله السيوطى فى لباب النقول فى أسباب النزول: بسند ضعيف.

والســـن ناطقـــات زانهـــا أدب ... مـــا شـــأنهـــا بالآفـــة الخـــرس

حتام يا ذا النهى لا ترعوى سفها ... ودمـع عينيك لا يهمى وينبجس

(**موعظة**): يا من يرحل فى كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة، ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة، ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله، ودروعه والسهام مرسلة، نور الهدى قد بدا ولكن ما رآه، ولا تأمله، وهو يأمل البقاء ويرى مصير من أمله، قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله، كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة، ونعم جلدك فلابد للديدان أن تأكله، فيا عجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمساءلة، فقد أولاك لو علمت منزله، فبادر ما بقى من عمرك واستدرك أوله، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة.

٢٨- الكبيرة الثامنة والعشرون

«أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان»

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة: ١٨٨) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، قال ابن عباس ﷺ: يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل، والأكل بالباطل على وجهين: أحدهما: أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة، والثانى: على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك، وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»[١] وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنَّى يستجاب لذلك. وعن أنس رضي الله عنه عنه قال: قلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة، فقال ﷺ: «يا أنس أطب كسبك تُجب دعوتك، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا تستجاب له الدعوة أربعين يومًا»[٢]، وروى البيهقى بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال: «إن الله قسم

(١) من حديث خولة الأنصارية.

(٢) ذكره المنذرى فى ترغيبه من حديث ابن عباس وأن الذى طلب دعوة الرسول إجابة دعوته هو سعد بن أبى وقاص وعزاه إلى الطبرانى وهو فيما معناه «يا سعد أطب مطعمك تكن مجاب الدعوة».

بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أُحبه ولا يكسب عبد مالا حرامًا فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن»[1] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة، من اكتسب فيها مالاً من حِله وأنفقه فى حقه أثابه الله وأورثه جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه فى غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان ورب متخوض فيما[2] اشتهت نفسه من الحرام له النار يوم القيامة»[3] وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أى باب أدخله النار» وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابًا خير من أن يجعل فى فيه حرامًا»[4] وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه فإن كان مطعمه سوء قال دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه، ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذى مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى حرامًا فأنى يستجاب لذلك[5]، وقد روى فى الحديث: أن ملكًا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة: من أكل حرامًا لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة، وقال عبد الله بن المبارك: لأن أرد درهما من شبهة أحب إلىَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «من حج بمال حرام فقال: لبيك، قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك»[6] وروى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه»[7] وقال وهب بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام

---

(١) عزاه فى الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود وقال: قد حسنها بعضهم.

(٢) عبارة الترغيب هكذا: فى مال الله ورسوله.

(٣) رواه البيهقى، قاله المنذرى فى الترغيب.

(٤) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمود بن إسحاق وقد وُثق قاله الهيثمى فى معجمه، وقال المنذري: إسناده جيد.

(٥) يعنى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة وتقدم قريبا.

(٦) رواه الطبرانى من حديث أبى هريرة وفى سنده سليمان بن داود اليمامى ضعيف اهـ مجمع الزوائد.

(٧) من حديث ابن عمر وفى سنده هاشم لم يعرفه الهيثمى وأشار المنذرى إلى ضعفه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امرئ وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه. وقال سفيان الثورى: من أنفق الحرام فى الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال، وقال عمر رضي الله عنه: كنا ندع تسعة أعشار الحلال، مخافة الوقوع فى الحرام، وعن كعب بن عُجْرَة[1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غُذى بالحرام» وعن زيد بن أرقم[2] قال: كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج - أى قد كاتبه على مال- وكان يجيئه بخراجه فيسأله: من أين أتيت بها؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه، قال: فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائما فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ثم قال له: من أين جئت بهذا؟ فقال: كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة إلا أنى خدعتهم، فقال أبو بكر: أف لك كدت تهلكنى، ثم أدخل يده فى فمه فجعل يتقيأ ولا يخرج، فقيل له: إنها لا تخرج إلا بالماء فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شىء فى بطنه فقيل له: يرحمك الله، وكل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضي الله عنه: لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» خشيت أن ينبت بذلك فى جسدى من هذه اللقمة، وقد تقدم قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام» وإسناده صحيح، قال العلماء رحمهم الله: ويدخل فى هذا الباب المكاس والخائن والزغلى والسارق والبطال وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن باع شيئًا فيه عيب فغطاه والمقامر والساحر والمنجم والمصور والزانية، والنائحة والعشرية والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ومخبر المشترى بالزائد ومن باع حرًّا فأكل ثمنه.

(فصل): روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى إذا جىء بهم جعلها الله هباء منثورًا ثم يقذف بهم في النار، فقيل: يا رسول الله كيف ذلك؟ قال: كانوا يصومون ويزكون ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شىء من الحرام أخذوه فأحبط الله

---

(١) حديث كعب بن عجرة رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه بلفظ: «لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت، النار أولى به» وما فى الكتاب هنا لفظ حديث أبى بكر الصديق رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط والبيهقى وبعض اسانيدهم حسن. أفاده المنذرى فى ترغيبه.

(٢) رواه البخارى من حديث عائشة بدون الزيادة فى آخره من شرب الماء.. إلخ.

عملهم»[1]، وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها، فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

(موعظة)؛ عباد الله أما الليالى والأيام تهدم الآجال؟ أما مال المقيم فى الدنيا إلى الزوال أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال؟ أما غاية السلام نقصان الكمال؟ أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال؟ أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال أما بانت لكم وضربت لكم الأمثال:

وعزيز ناعم ذل له ... كل صعب المرتقى وعمر المرام

فكساء بعدلين ملبس ... خشنا بالرغم منه فى الرغام

ووجوه ناضرات بدلت ... بعد لون الحسن لونا كالقتام

وشموس طالعات أفلت ... بعد ذاك النور منها بالظلام

ومنيف شامخ بنيانه ... لين الأعطاف مهتز القوام

أف للدنيا فما شيمتها ... غير نقص العهد أو خفر الذمام

فاستعدوا الزاد تنجو واعملوا ... صالحًا من قبل تقويض الخيام

يا متعلقًا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق، يا مضيعا فى الهوى واجبات الحقوق، تبارز الخالق وتستحى من المخلوق، يا مؤثرا على العلالى ساترًا ذلك الفسوق، ألا سترى ذلك الفسوق يا متولها مهاد الهوى وهو فى سجن الردى مرموق، ابك على نفسك العليلة فإنك بالبكاء محقوق، عجبا لمن رأى فعل الموت لصحبه، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه وسكن الإيمان بالآخرة فى قلبه، أنام غافلاً على جنبه ونسى جزاءه على جرمه وذنبه، وأعرض إلى ربه من الهوى عن ربه، كأنى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه، وأفرده الموت عن أهله وسيره ونقله إلى قبر ذل فيه بعد عجبه، فيا ذا اللب جز على قبره وعج به[2] لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع، لقد بدأ نور المطالع لكنه أعمى المطامع، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع فما بالها لا تسكب

(١) رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة الباهلى من حديث طويل فى سنده كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطى وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ مجمع الزوائد.

(٢) أى مر به واعتبر واتعظ.

المدامع، يا عجبا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع، لقد نشبت فيه مخالب المطامع، يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع؟ انته لما بقى وانته وراجع فالهوى عظيم والحساب شديد والطريق شاسع، إن عذاب ربك لواقع، ماله من دافع.

٢٩- الكبيرة التاسعة والعشرون «قتلُ الإنسان نفسه»

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء: ٢٩-٣٠).

قال الواحدى فى تفسير هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾: أى لا يقتل بعضكم بعضًا لأنكم أهل دين واحد فأنتم كنفس واحدة، هذا قول ابن عباس والأكثرين، وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه ويدل على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بإسناده عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة وأنا فى غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت فصليت بأصحابى الصبح فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب»؟ فأخبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت: إنى سمعت أن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا، فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبى ﷺ[1]. قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ كان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع، وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة وقوله تعالى: ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ من العدوان أن يعدو ما أمر الله به: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أى أنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار، وعن جندب بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات، وقال تعالى: بادرنى عبدى بنفسه، حرمت عليه الجنة» مخرَّج فى الصحيحين، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيه أبدًا، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا

(١) رواه أبو داود وقال المنذرى فى مختصره: حسن.

مخلدًا فيها أبدًا، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا» مخرج في الصحيحين. وفى حديث ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة»(1) وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ: «هو من أهل النار» فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه جواد كريم غفور رحيم.

(موعظة): ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة، وكيف تقصر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة، يا معرضا عنا إلى متى هذا الجفا والإعراض، يا غافلا عن الموت والعمر لا شك فى انقراض، يا مغترا فى أمله وأيدى المنايا فى أجله تقرضه بمقراض، يا مغرورًا بصحته وبدنه كل يوم فى انتقاص، يا من يفنى كل يوم بعضه ستفنى والله الأبعاض، يا غافلا عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض، يا قليل الاحتراس ونيل المنايا طوال عراض، يا من يساق إلى موارد التلف وقد نزحت الحياض يا ضاحكًا وعيون الفنا غير غماض، عجبًا لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض.

٣٠- الكبيرة الثلاثون «الكذب فى غالب أقواله»

قال الله تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) وقال تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات: ١٠) أى: الكاذبون، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: ٢٨) وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقًا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» وفى الصحيحين أيضًا أنه ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» وقال عليه الصلاة

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى باختصار، والترمذى وصححه، وهذا لفظ الترمذى كما فى الترغيب والترهيب.

والسلام: «أربع من كن فيه منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا اؤتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»[1] وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ قال «فأتينا على رجل مضطجع لقفاه وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يذهب إلى الجانب الأول فما يرجع إليه حتى يصح مثل ما كان فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة فقلت لهما: من هذا؟ فقالا: إنه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق»[2] وقال ﷺ: «يطبع المؤمن على كل شىء ليست الخيانة والكذب»[3]، وفى الحديث: «وإياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[4] وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب وعائل مستكبر»[5] العائل: الفقير، وقال ﷺ: «ويل للذى يحدِّث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب، ويل له ويل له ويل له»[6] وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (المجادلة: ١٤)وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفَّى له وإن لم يعطه لم يف له»[7] وقال ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدِّث أخاك حديثًا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب»[8]، وفى الحديث أيضًا: «من تحلم بحلم لم يره (أى ادَّعى رؤيته) كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد»[9]، وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) من حديث سمرة بن جندب مطولا.

(٣) رواه أحمد من حديث أبى أمامة بسند منقطع بلفظ: «يطبع المؤمن على كل شىء» إلخ، وله شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص عند البزار وأبى يعلى بسند رجاله رجال الصحيح ولكن رجح الدارقطنى صحته،، كذا فى الترغيب.

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة... اهـ مشكاة.

(٥) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة ترغيب.

(٦) رواه أحمد من حديث النواس بن سمعان وشيخ أحمد فيه عمر بن هارون فيه خلاف قاله فى الترغيب.

(٧) رواه أبو داود والترمذى وحسنه أبو داود والنسائى والبيهقى من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. ترغيب.

(٨) رواه الجماعة إلا الترمذى كلهم من حديث أبى هريرة.

(٩) رواه البخارى.

«أفرى الفرى على الله (أى أكذب الكذب) أن يُرى الرجل عينيه ما لم تريا»[1] معناه: أن يقول رأيت فى منامى كيت وكيت ولم يكن رأى شيئًا، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين[2].

فينبغى للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة فإن فى السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شىء، وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح فى أنه لا ينبغى للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم، قال أبو موسى[3]: قلت: يا رسول الله أى المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» وفى الصحيحين: «إن الرجل ليتكلم الكلمة ما يتبين فيها - أى ما يفكر فيها بأنها حرام - يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»[4] وفى موطأ الإمام مالك من رواية بلال بن الحارث المزنى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم يلقاه»[5] والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرناه كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية، وسئل بعضهم: كم وجدت فى ابن آدم من العيوب؟ فقال: هى أكثر من أن تحصى، والذى أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها وهى حفظ اللسان. جنبنا الله معاصيه واستعملنا فيما يرضيه إنه جواد كريم.

(موعظة): أيها العبد لا شىء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها، ولا

---

(١) رواه البخارى من حديث ابن عمر أهـ مشكاة.

(٢) ذكره مالك فى موطئه بلاغًا اهـ ترغيب قال: وقد تقدم بنحوه متصلاً مرفوعًا.

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى قاله المنذرى فى ترغيبه وأبو موسى هو الأشعرى اسمه عبد الله بن قيس.

(٤) من حديث أبى هريرة ورواه النسائى أيضًا كما فى الترغيب.

(٥) وكذا رواه الترمذى وقال: حسن صحيح، والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ ترغيب.

بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها، لقد مضى من عمرك الأطايب، فما بقى بعد شيب الذوائب، يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب والشيب من جملة المصائب، يمضى زمن الصبا وحب الحبائب، كفى زاجرًا واعظًا تشيب منه الذوائب، يا غافلا فاته أفضل المناقب، أين البكا لخوف العظيم الطالب؟ أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب، نظرت فيه آخر العواقب، كم في القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب، من لى إذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى: ما صنعت فى كل واجب، كيف ترجو النجاة وتلهو بأمر الملاعب؟ إذا أتتك الأمانى بظن الكاذب الموت صعب شديد مر المشارب، يلقى شره بكأس صدور الكتائب فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب، يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب يا آملا أن تبقى سليمًا من النوائب، بنيت بيتًا كنسيج العناكب.

أين الذين علوا متون الركايب، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب، وأنت بعد قليل حليف المصايب، فانظر وتفكَّر وتدبر قبل العجايب.

٣١- الكبيرة الحادية والثلاثون «القاضى السوء»

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤) وقال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥) وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧).

روى الحاكم بإسناده[1] وفى صحيحه عن طلحة بن عبيد الله عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله».

وصحح الحاكم أيضًا من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القضاة ثلاثة: قاضى فى الجنة وقاضيان فى النار، قاض عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة، وقاض عرف الحق فجار متعمدًا فهو فى النار، وقاضى قضى بغير علم فهو فى النار». قالوا: فما ذنب الذي يجهل؟ قال: «ذنبه أن لا يكون قاضيًا حتى يعلم»[2] وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين»[3] وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ينبغى للقاضى أن

---

(١) في سنده عبد الله بن محمد العدوى واهٍ متهم وهذا مما أنكر على الحاكم، قال المنذرى: ولفظه: «لا يقبل الله صلاة إمام جائر» وقال الذهبى فى رسالته الصغرى: بسند لا أرضاه.

(٢) ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى: حسن غريب وقواه المصنف فى صغراه.

(٣) رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن غريب، وابن ماجه والحاكم وصححه أهـ ترغيب.

يكون يومًا فى القضاء ويومًا فى البكاء على نفسه، وقال محمد بن واسع رحمه الله: أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب: القضاة، وعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة»[1] وعن معاذ بن جبل ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إن القاضى ليزل فى زلفة فى جهنم أبعد من عدن»، وعن على بن أبى طالب ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق فإن كان عدلا نجاه الله بعدله وإن كان غير ذلك انتقض به ذلك الجسر انتقاضًا فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم»، وقال مكحول: لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى على القضاء، وقال أيوب السختيانى: إنى وجدت أعلم الناس أشدهم هربا منه، (أى القضاء) وقيل للثورى: إن شريحًا قد استقضى، فقال: أى رجل قد أفسدوه. ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى فعاوده وقال: لتجلسن وإلا جلدتك، فقال: إن تفعل فإنك سلطان وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة. وقال وهب بن منبه: إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى فى الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شىء وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك. وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز ﵁: أما بعد فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح، فكتب إليه عمر: حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ... والسلام. قال: ويحرم على القاضى أن يحكم وهو غضبان وإذا اجتمع فى القاضى قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة[2] وقلة ورع تم خسرانه ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص. فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(موعظة): يا من عمره كلما زاد نقص، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتنص، يا مائلا إلى الدنيا هل سلمت من النقص؟ يا مفرطا فى عمره هل بادرت الفرص؟ يا من إذا ارتقى فى منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص، من لك يوم الحشر عند

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه أهـ ترغيب.

(٢) فى الأساس: زعر الرجل زعرًا ساء وقل خيره اهـ.

نشر القصص[1]؟ عجبًا لنفس أمست بالليل هاجعة ونسيت أهوال يوم الواقعة ولأن تقرعها المواعظ فتصغى لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة، وليست له فى حال الأحوال طائعة، والأقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة، والهمم شرعت فى مشارع الهوى متنازعة، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة، وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يحل مرارًا متتابعة.

٣٢- الكبيرة الثانية والثلاثون «أخذ الرشوة على الحكم»

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨) أى لا تدلو بأموالكم إلى الحكام: أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقّا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم»[2] أخرجه الترمذى وقال: حديث حسن، وعن عبد الله بن عمرو: لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى، قال العلماء: فالراشى هو الذى يعطى الرشوة والمرتشى هو الذى يأخذ الرشوة وإنما تلحق اللعنة الراشى إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له أو يدفع عن نفسه ظلمًا فإنه غير داخل فى اللعنة، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل حقّاً أو دفع بها ظلمًا، وقد روي في حديث آخر[3] أن اللعنة على الرائش أيضًا وهو الساعى بينهما، وهو تابع للراشى فى قصده إن قصد خيرًا لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته.

(فصل): ومن ذلك ما روى أبو داود فى سننه عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتيت بابا كبيرًا من أبواب الربا»، وعن ابن مسعود قال: السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدى إليك هدية فتقبلها منه، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد فى مظلمة فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة فأعطاه من أعطاه على ذلك قليلاً أو كثيرًا فهو السحت، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا

---

(١) القصص: جمع قصة يعنى الصحف التى فيها الأعمال.

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وزاد: والرائش يعنى الذى يسعى بينهما اهـ ترغيب.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح اهـ ترغيب.

الرشوة فى الحكم، فقال ذلك كفر[1] نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه.

(حكاية): عن الإمام أبى عمرو الأوزاعى رحمه الله وكان يسكن ببيروت أن نصرانيّاً جاء إليه فقال: إن والى بعلبك ظلمنى بمظلمة وأريد أن تكتب إليه، وأتاه بقلة عسل، فقال الأوزاعى رحمه الله: إن شئت رددت القلة وكتبت لك إليه وإن شئت أخذت القلة فكتب له إلى الوالى: أن ضع عن هذا النصرانى من خراجه، فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالى فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهمًا شفاعة للإمام رحمه الله وحشرنا فى زمرته.

(موعظة): عباد الله تدبروا العواقب واحذروا قوة المناقب واخشوا عقوبة المعاقب وخافوا سلب السالب، فإنه والله طالب غالب أين الذين قعدوا فى طلب المنى وقاموا، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا، ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا، لقد وبخوا فى نفوسهم فى قعر قبورهم، على ما أسلفوا ولاموا.

شعر:

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا

لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام

ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

يا من بأقذر الخطايا قد تلطّخ، وبآفات البلايا قد تضمخ، يا من سمع كلام من لام وبخ، يقعد عقد التوبة حتى إذا مسى يفسخ، يا مطلقا لسانه والملك يحصى وينسخ، يا من طَيّر الهوى فى صدره قد عشش وفرخ، كم أباد الموت ملوكًا كالجبال الشمخ، كم أزعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ، يا مبارزًا بالعظائم، أتأمن من أن تخسف أو تمسخ. يا من لازم العيب بعد اشتعال الشيب ففعله يؤرخ، والحمد لله دائمًا وأبدًا.

---

(١) رواه الطبرانى عنه موقوفا عليه... اهـ ترغيب.

٣٣- الكبيرة الثالثة والثلاثون

«تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء»

فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»(١) وفى رواية: «لعن الله الرجلة من النساء»(٢) وفى رواية قال: «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء»(٣) - يعنى اللاتي يتشبهن بالرجال فى لبسهم وحديثهم - وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة»(٤).

فإذا لبست المرأة زى الرجال من المقانب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك- أى رضى به- ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم:٦) أى أدبوهم وعلّموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم فى حق أنفسكم ولقول النبى ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة»(٥)، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء»(٦)، وقال الحسن: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله تعالى فى النار، وقال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» أخرجه مسلم، قوله: كاسيات: أى من نعم الله عاريات من الخير، وقيل: هو أن تلبس المرأة ثوبا رقيقًا

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «لعن رسول الله» إلخ.

(٢) قال المصنف فى رسالته الصغرى: إسناده حسن. والرجلة المتشبهة بالرجال.

(٣) عزاها فى الترغيب والترهيب للبخارى من حديث ابن عباس.

(٤) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: على شرط مسلم اهـ ترغيب.

(٥) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة وله شواهد من حديث ابن عمر وصححه ابن حبان وقال الحاكم: على شرط مسلم، أفاده المنذرى رحمه الله تعالى.

(٦) رواه البخارى ومسلم.

يصف لون بدنها، ومعنى مائلات: قيل: عن طاعة الله وما يلزمن حفظه، مميلات: أى يعلّمن غيرهن الفعل المذموم، وقيل: مائلات: يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات: يمشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ومميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة، رؤوسهن كأسنمة البخت: أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما، وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنمًا متنكبة قوسًا فقال عبد الله ابن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت: امرأة فالتفت إلى ابن عمرو فقال: إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء.

ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة وهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء، قال عنهن النبى ﷺ: «اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[1] وقال ﷺ: «ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء»، فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه.

(موعظة)، ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم، مفرقًا من مالك ما اجتمع، ومن شملك ما انتظم ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم وندمت على التفريط غاية الندم، فيا عجبا لعين تنام وطالبها لم ينم متى تحذر مما توعد وتهدد، ومتى تضرم نار الخوف فى قلبك وتتوقد، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد، إلى متى أنت بين الفتور والتوانى تتردد، متى تحذر يومًا فيه الجلود تنطق وتشهد، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد، متى تهب بك فى بحر الوجد ريح الخوف والرجا، متى تكون الليل قائمًا إذا سجا، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا، وقاموا فى الدجى وركعوا وسجدوا، وقدموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا، وصاموا

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر.

هواجر النهار فصبروا واجتهدوا، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا وبقيت فى أعقابهم إن لم تلحق بعد:

شعر:

يا نائم الليل كم ترقد قم يا حبيبى فقد دنا الموعد

من نام حتى ينقضى ليله لم يبلغ المنزل قبل أن يجهد

قل لذوى الألباب أهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

٣٤- الكبيرة الرابعة والثلاثون

«الديوث المستحسن الفجور على أهله والقواد الساعى بين الاثنين بالفساد»

قال الله تعالى: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ **(النور: ٣)** عن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبى ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء»[(١)] وروى أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة قد حرم عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله»[(٢)] يعنى يستحسنه على أهله، نعوذ بالله من ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها ولأن لها عليه دينا وهو عاجز أو صداقًا ثقيلاً أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ولا خير فيمن لا غيرة له، فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم.

(موعظة): أيها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لمات آت، حتى لا تجتهد فى لحاق القوافل الماضيات، أتطمع وأنت رهين الوساد فى لحاق السادات، هيهات هيهات هيهات، يا آملا فى زعمه اللذات احذر هجوم هادم اللذات، احذر مكائده فهى كوامن في عدة الأنفاس واللحظات:

تمضى حلاوة ما أخفيت وبعدها تبقى عليك مرارة التبعات

يا حسرة العاصين يوم معادهم لو أنهم سبقوا إلى الجنات

(١) رواه النسائى والبزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر، قاله المنذرى فى ترغيبه.

(٢) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد وهو من حديث عبد الله بن عمر، أفاده المنذرى.

لو لم يكن إلا الحياء من الذى ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحبته بالذنوب قد جفت، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت، أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد زفت، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت فى الأكفان ولفت، أما عاينت طور الأجسام فى الأرحام؟ ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس، متى تعتبر برَبع غيرك الدارس، أين الأكاسرة الشجعان الفوارس وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنس الكوانس، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس، أين من اعتاد سمة القصور ؟ حبس فى القبور فى أضيق المجالس أين الرافل فى أثوابه عزى فى ترابه عن الملابس، أين الغافل فى أمله وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس، حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها، ولمن جهل نفسه أن يزجرها، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها، ولمن دعى إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها.

٣٥- الكبيرة الخامسة والثلاثون «فى المحلِّل والمحلَّل له»

صح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لُعن المحلِّل والمحلَّل له»[(١)].

قال الترمذى: والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الإمام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه أيضًا بإسناد صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال: «لا، إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسه[(٢)]، ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة» ورواه أبو إسحاق الجوزجانى.

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلِّل، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

وعن ابن عمر أن رجلا سأله فقال: ما تقول فى امرأة تزوجتها أحلها

---

(١) رواه النسائى والترمذى، قاله المصنف فى الصغرى.

(٢) التدليس كتم العيب والمراد هنا إظهار الرغبة فى النكاح مع إبطال خلافه.

لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم؟ فقال له ابن عمر: لا، إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن تركتها فارقتها، وإنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ.

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا أوتى بمحلِّل ولا محلَّل له إلا رجمتهما.

وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال: ذلك السفاح.

وعن عبد الله بن شريك العامرى قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ثم ندم ورغب فيها فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر: كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رجل فقال: ابن عمى طلق امرأته ثم ندم، فقال: ابن عمك عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا، فقال كيف ترى فى رجل يحللها له؟ فقال: من يخادع الله يخدعه.

وقال إبراهيم النخعى: إذا كان نية أحد الثلاثة: الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول.

وقال الحسن البصرى: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد.

وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين فى رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال: لا تحل.

ومن قال بذلك مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثورى والإمام أحمد وقال إسماعيل بن سعيد: سألت الإمام أحمد عن رجل يتزوج المرأة وفى نفسه أن يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك فقال: هو محلل وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون.

ومذهب الشافعى رحمه الله: إذا شرط التحليل فى العقد بطل العقد لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة، وإن وجد الشرط قبل العقد فالأصح الصحة وإن عقد كذلك ولم يشرط فى العقد لم يفسد العقد وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان، أصحهما: أنه يبطل ووجه البطلان أنه شرط يمنع صحته دوان النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح فى الرافعى ووجه الثانى أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج

عليها ولا يسافر بها، والله أعلم، فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ويجنبنا معاصيه إنه جواد كريم غفور رحيم.

(موعظة): لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها، التقطوا أيام السلامة فغنموا، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا: هجروا فى طاعته لذيذ الكرى وهربوا إليه من جميع الورى، وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى، ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا، أسلموا إليه لما سلموا الروح، وخدموه والصدر لخدمته مشروح، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى وينوح، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح، ورضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح، تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح، وقد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح، من طيب الثناء وروائح لهم بكل مكان تستنشق، ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق.

الكبيرة السادسة والثلاثون

«عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى»

قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(المدثر: ٤) وعن ابن عباس ﷺ قال: مر النبى ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول - أى يتحرز منه» مخرج فى الصحيحين، وقال رسول الله ﷺ: «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه» رواه الدارقطنى.

ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبولة وروى الحافظ أبو نعيم[1] فى الحلية عن شفى بن ماتع الأصبحى عن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وفى ذم الغيبة والطبرانى فى الكبير بإسناد لين وأبو نعيم وقال: شفى بن ماتع مختلف فى صحبته فقيل: له صحبة، قال الحافظ المنذرى: شفى ذكره البخارى وأبو حبان فى التابعين اهـ الترغيب والترهيب.

آذونا على ما بنا من الأذى» قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فمه قيحًا ودمًا ورجل يأكل لحمه، وقال: «فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى: فيقول: إن الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس ثم يقال للذى يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان لا يبالى أين ما أصاب منه البول- ولا يغسله- ثم يقال الذى يسيل فمه قيحًا ودمًا: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها، وفى رواية: كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة - ثم يقال للذى يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس» يعنى بالغيبة.

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين.

(موعظة): أيها العبيد تذكروا فى مصارع الذين سبقوا، وتدبروا فى عواقبهم أين انطلقوا، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا، أما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا:

والمرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلاً لطيفًا ثم يتسق

يزداد إذا ما تم أعقبه ... كر[1] الجديدين نقصا ثم يمتحق

كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرق

ومات مبتسم يجد المشيب به ... كالليل ينهض فى أعجازه الأفق

عجبت والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا

وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا

دار لعهد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق

يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثق

أقول والنفس تدعونى لزخرفها ... أين الملوك ملوك الناس والسوق

أين الذين إلى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهم عيش ومرتفق

أمست مساكنهم قفرا معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا

يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... إن اغترارا بظل زائل حمق

---

(١) يعنى تعاقب الليل والنهار.

٣٧- الكبيرة السابعة والثلاثون «الريـــاء»

قـــال الله تعـالى مـخبــرًا عن المنافقــين: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء: ١٤٢) وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٤-٧) وقـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ (البقرة: ٢٦٤) الآية وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠) أى لا يرائي بعمله. وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جرىء، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل تعلَّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: هـــو عالم وقرأت ليقال: هو قارئ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقـــى فى النار» رواه مسلم، وقال ﷺ: «من سمعَّ سمع الله به، ومن يرائى يرائى به»[1].

قال الخطابى: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه ويسره من ذلك، والله أعلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «اليسير من الرياء شرك»[2] قال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فقيل، وما هو يا رسول الله؟ قال: الرياء يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟[3]» وقيل فى

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبرانى فى الكبير والبيهقى فـى الشعب مـن رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه وفى مسند أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قاله العراقى فى تخريج الإحياء.

(٢) رواه الحاكم من حديث معاذ والطبرانى نحوه أفاده العراقى.

(٣) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات، ورواه الطبرانى عنه عن رافع بن خديج (العراقى).

قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: ٤٧) قيل: كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها فى الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول: ويل لأهل الرياء، وقيل[1]: إن المرائى ينادَى به يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا وقال الحسن: المرائى ير يد أن يغلب قدر الله فيه هو رجس سوء يريد أن يقول للناس هو صالح فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه: وقال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله: انظروا إلى عبدى كيف يهزئ بى، وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطئ رقبته فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب وقيل: إن أبا أُمامة الباهلى رضي الله عنه أتى على رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى فى سجوده ويدعو، فقال له أبو أمامة: أنت أنت لو كان هذا فى بيتك؟ وقال محمد بن المبارك الصورى: أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين والسمت بالليل لرب العالمين، وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: للمرائى علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان فى الناس ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم به، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

فنسأل الله المعونة والإخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات إنه جواد كريم.

(موعظة): عباد الله إن أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل، فيخبر الأواخر والأوائل، وليستيقظ الغافل سير القوافل يا من يوقن أنه لا شك راحل وما له زاد ولا رواحل، يا من لج فى لجة الهوى متى ترتقى إلى الساحل، هل انتهيت من رقاد شامل، وحضرت المواعظ بقلب غير غافل وقمت فى الليل قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل، تخفى بها زفرات الندم والوسائل، وبعثتها فى سفينة دمع سائل، لعلها ترسى على الساحل، وا أسفًا لمغرور جهول غافل، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل، وركن إلى ركوب الهوى

(١) ابن أبى الدنيا من رواية اليحصبى عن صحابى لم يسم وإسناده ضعيف... اهـ عراقى وقيل صيغة التمريض تدل على ضعف الرواية. وصيغة التمريض هى (وقيل).

ركبة مائل، يبنى البنيان ويشيد المعاقل، وهو عن ذكر قبره متشاغل، ويدعى بعد هذا أنه عاقل، تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل، وهو يؤمل فى بطالته فوز العامل، وهيهات ما فاز باطل بطائل:

أيها المعجب فخراً بمقاصير البيوت
إنما الدنيا محل لقيام وقنوت
فغدا تنزل بيتا ضيقاً بعد النحوت
بين أقوام سكوت ناطقات فى الصموت
فارض فى الدنيا بثوب ومن العيش بقوت
واتخذ بيتا ضعيفاً مثل بيت العنكبوت
ثم قال يا نفس هذا بيت مثواك فموتى

٣٨- الكبيرة الثامنة والثلاثون «التعلم للدنيا وكتمان العلم»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨) يعنى العلماء بالله عز وجل، قال ابن عباس: يريد إنما يخافنى من خلقى من علم بجبروتى وعزتى وسلطانى، وقال مجاهد والشعبى: العالم من خاف الله تعالى، وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩) نزلت هذه الآية فى علماء اليهود وأراد بـ ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾: الرجم والحدود والأحكام، وبالهدى: أى محمد عليه الصلاة والسلام ونعته: ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ أى بنى إسرائيل ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أى فى التوراة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعنى الذين يكتمون ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ قال ابن عباس: كل شىء إلا الجن والإنس، وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧) قال الواحدى: نزلت هذه الآية فى يهود المدينة أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبينن شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه وهو قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ وقال الحسن: هذا ميثاق الله تعالى على علماء

اليهود أن يبينوا للناس ما في كتابهم وفيه ذكر رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ يعنى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم وقوله: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ قال ابن عباس: قبح شراؤهم وخسروا، وقال رسول الله ﷺ: «من تعلم علما مما ينبغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة»[1] -يعنى ريحها- رواه أبو داود، وقد مر حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين يسحبون إلى النار أحدهم الذى قال له: إنما فعلت ليقال عالم وقد قيل[2] وقال ﷺ:«من ابتغى العلم يباهى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس إليه فإلى النار» وفى لفظ «أدخله الله النار» أخرجه الترمذى[3] وقال ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»[4]، وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «أعوذ بك من علم لا ينفع»[5] وقال ﷺ: «من تعلم علمًا لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»[6] وقال ﷺ: «من تعلم علمًا لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبرا»[7] وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف فى النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له: بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك؟ فيقول: كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه»[8] وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه

---

(١) ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: على شرط مسلم، قاله المنذرى، وقال فى الصغرى: سنده صحيح. وعرف الجنة رائحتها الطيبة.

(٢) أى فى الباب الماضى.

(٣) بسند فيه إسحاق بن يحيى وهو واه، قاله المصنف فى صغراه.

(٤) بإسناد صحيح رواه عن عطاء عن أبى هريرة ونحوه من حديث عبد الله بن عمرو وقال: على شرطهما ولا أعلم له علة، قاله المصنف فى الصغرى.

(٥) رواه مسلم والترمذى، والنسائى من حديث ابن أرقم وتمامه: «ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها» اهـ منذرى.

(٦) حسنه الترمذى قاله المصنف فى الصغرى، قال المنذرى: رواه الترمذى وابن ماجه من رواية خالد ابن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال إسنادهما ثقات.

(٧) رواه أبو داود والترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه والحاكم بنحوه وقال: على شرط الشيخين كلهم من حديث أبى هريرة، قاله المنذرى فى الترغيب.

(٨) رواه ابن حبان، ومسلم من حديث أسامة بن زيد ورواه البيهقى وابن حبان من حديث أنس. أفاده المنذرى فما هنا من جعله من حديث أبى أسامة خطأ من الناسخ أو سبق قلم.

والعمل به أشد من حفظه والسلامة منه أشد من العمل به، فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

موعظة: ابن آدم متى تذكر عواقب الأمور؟ متى ترحل الرجال عن هذه القصور؟ إلى متى أنت فى جميع ما تبنى تدور؟ أين من كان قبلكم فى المنازل والدور؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور، واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور، كشفوا الحجاب المخفى وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحُصِّل ما فى الصدور، ونصب الصراط فكم من قدم عثور، ووضعت عليه كلاليب لخطف مغرور، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور، وباءوا بتجارة لن تبور، ودعاء أهل الفجور بالويل والثبور، وجئ بالنار تقاد بالأزمة وهى تفور، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهى تفور، وليس فى الدنيا لمن آمن بالبعث سرور، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور.

إنما الدنيا متاع ... كل ما فيها غرور

فتذكر هول يوم ... فيه السماء تمور

٣٩- الكبيرة التاسعة والثلاثون «الخيانة»

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧) قال الواحدي رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية فى أبى لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لما حصرهم وكان أهله وولده فيهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه: أى إنه الذبح فلا تفعلوا- فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله، وقوله: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عطف على النهى - أى ولا تخونوا أماناتكم - قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد - يعنى الفرائض - يقول: لا تنقضوها، قال الكلبى: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢) أى لا يرشد كيد من خان أمانته أنه يفتضح فى العاقبة بحرمان الهداية، وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا

حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»[1]، وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[2] والخيانة قبيحة فى كل شىء وبعضها شر من بعض وليس من خانك فى فلس كمن خانك فى أهلك ومالك وارتكب العظائم، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» وفى الحديث أيضًا «يطبع المؤمن على كل شىء إلا الخيانة والكذب»[3] وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه»[4] وفيه أيضًا: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة ورُب مصل لا خير فيه» وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة»[5] وقال عليه الصلاة والسلام: «هكذا أهل النار - وذكر منهم رجلاً لا يخفى به طمع[6] وإن دق إلا خانه»[7] وقال ابن مسعود: يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فقال له: أد أمانتك فيقول: أنَّى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ قال فتُمثل له كهيئتها يوم أخذها فى قعر جهنم ثم يقال له انزل إليها فأخرجها، قال فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهى عليه أثقل من جبال الدنيا حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى فى آثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل آمانة وأعظم ذلك كله الودائع[8].

موعظـــة: عباد الله ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها وما أجهل النفوس وقد أطعتموها، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها قبل الرحيل عن القليل والمناقشة عن

---

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة وزاد مسلم «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» وروى نحوه يعلى من حديث أنس قاله المنذرى فى ترغيبه.

(٢) رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط وابن حبان فى صحيحه من حديث أنس والطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث ابن عمر قاله المنذرى.

(٣) رواه أحمد عن وكيع عن الأعمش قال: حدثت عن أبى أمامة... اهـ ترغيب، فيه انقطاع بين الأعمش وأبى أمامة.

(٤) رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٥) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وأوله: «اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع» إلخ أفاده المنذرى فى الترغيب.

(٦) لا يخفى أى لا يظهر والظهور والخفاء من الأضداد.

(٧) رواه مسلم فى حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعى.

(٨) عزاه في الترغيب والترهيب إلى أحمد والبيهقى موقوفا بنحو ما هنا قال: وذكر عبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال: إسناده جيد اهـ.

النقير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحود، وتصيروا طعامًا للدود فى بيت بابه مسدود، ولو قيل فيه للعاصى ما تختار لقال: أعود ولا يعود.

شعر:

أيـن الديـار من قـوم نـوح ... ثـم عـادٌ من بعـدهم وثمـود

بينما القوم فى النمارق والاستبـ ... ـرق أفضت إلى التراب الخدود

وصحيح أضحى يعود مريضًا ... وهـو أدنـى للمـوت ممن يعود

٤٠- الكبيرة الأربعون «المنان»

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤)

قال الواحدى: هو أن يمن بما أعطى، وقال الكلبى: المن على الله فى صدقته والأذى لصاحبها، وفى الصحيح[١] أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» المسبل هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين لأنه ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من إزار فهو فى النار»[٢] وفى الحديث أيضًا: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان» رواه النسائى[٣] وفيه أيضًا: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان»[٤] والخِب هو المكر والخديعة، والمنان هو الذى يعطى شيئًا أو يتصدق به ثم يمن به (أى يعيِّر به صاحبه) وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر» ثم تلا رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر» ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤) وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر: أحسنت إليك، وفعلت وفعلت فقال له ابن سيرين: اسكت فلا خير فى المعِّرف إذا أحصى. وكان بعضهم يقول: منْ مَنَّ بمعروفه سقط من شكره

(١) يعنى صحيح مسلم وهو عند الجماعة سوى البخارى من حديث أبى ذر رضي الله عنه.. أهـ ترغيب للمنذرى.

(٢) رواه مالك وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه فى ضمن حديث كما فى الترغيب.

(٣) رواه النسائى من حديث ابن عمر والبزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد وابن حبان فى صحيحه، أفاده المنذرى فى ترغيبه.

(٤) رواه الترمذى وقال: حديث غريب... اهـ ترغيب، والخب بكسر الخاء المعجمة هو الخداع الخبيث.

المعروف إذا أحصى، ومن أعجب بعمله حبط أجره، وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى:

لا تحملن من الأنام ... بأن يمنوا عليك منا
اختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جُنه
منن الرجال على القلوب ... أشد من وقع الأسنه

وأنشد أيضًا بعضهم فقال:

وصاحب سلفت منه إلى يد ... أبطأ عليه مكافأتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربني ... أبدى الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حُسن ... ليس الكريم إذا أعطى بمنان

موعظة: يا مبادرًا بالخطايا ما أجهلك، إلى متى تغتر بالذى أمهلك؟ كأنه قد أهملك!! فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، وإذا بالرحيل وقد أفزعك الملك، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك، يا مطمئنا بالفانى ما أكثر ذلك، ويا معرضا عن النصح كأن النصح ما قيل لك، أين حبيبك الذى كان وأين انتقل؟ أما وعظك التلف فى جسده والمقل، وأين كثير المال أين طويل الأمل؟ أما خلا وحده فى لحده بالعمل؟ أين من جر ثوبه بالخيلاء غافلاً ورفل؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل؟ أين من تنعم فى قصره فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل، أين من تفوق واحتفل؟ غاب والله نجم صعوده وأفل، أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول؟ ملك أموالهم سواهم والدنيا دُوَل.

٤١- الكبيرة الحادية والأربعون «التكذيب بالقدر»

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩) قال ابن الجوزى فى تفسيره: فى سبب نزولها قولان أحدهما: أن مشركى مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية: (انفرد بإخراجه مسلم) وروى أبو أمامة أن هذه الآية نزلت فى القدرية[1]، والقول الثانى: أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد تزعم أن المعاصى بقدر وليس كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أنتم خصماء الله»[2] فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْحَبُونَ

---

(١) رواه ابن عدى وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف، قاله السيوطى فى الدر المنثور.
(٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطى فى الدر المنثور.

فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٧-٤٩) وروى عمر ابن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديًا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون: أين خصماء الله. فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار يقول الله: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1] وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون فى أنه لا يجوز أن يقدر على العبد ثم يعذبه عليها، وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: والله لو أن قدريًا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله تعالى على وجهه فى سقر ثم قيل له: ذق مس سقر إنا كل شىء خلقناه بقدر، وروى مسلم فى صحيحه من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شىء بقدر حتى العجز والكيس» وقال ابن عباس: كل شىء خلقناه بقدر: مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه، وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦) قال ابن جرير: فيها وجهان، أحدهما أن يكون بمعنى المصدر فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، والثانى: أن تكون بمعنى «الذى» فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الأصنام، وفى هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة، والله أعلم، وقال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٨) الإلهام إيقاع الشىء فى النفس قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها، وقال ابن زيد: جعل ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور، والله أعلم، وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله منَّ على قوم فألزمهم الخير فأدخلهم فى رحمته وابتلى قوما فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣) وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبيًا قط إلا وفى أمته قدرية ومرجئة، إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيًا»[2] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة»[3] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة يزعمون أن لا قدر وإن الأمر أنف» (جديد) قال:

---

(١) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، قاله السيوطى فى الدر المنثور.

(٢) أورده المصنف فى الصغرى له عن أبى العلاء الدمشقى عن محمد بن جحادة عن يزيد بن حصين عنه ثم قال فيه وفى غيره: وهذه الأحاديث لا تثبت لضعف رواتها.

(٣) أورده كذلك فى الصغرى عن الحسن عن عائشة وقال فيه ما تقدم آنفًا فى التضعيف، وهو وما قبله عزاهما إلى كتاب السنة لابن أبى عاصم وقال: فيها مقال ولا تثبت لضعف رواتها.

«فإذا لقيتهم فأخبرهم أنى منهم برىء وأنهم براء منى»[١] ثم قال: «والذي نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره» ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبى ﷺ قال: ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وقوله: «أن تؤمن بالله» الإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء، يفعل فى ملكه ما يريد، والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الانبياء: ٢٦-٢٨).

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا من الله تعالى رسالاته وبينوا ما أمرهم الله به وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم.

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل، والإيمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦) وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩) ومن ذلك قوله ﷺ فى حديث ابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقًا جازمًا لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنا حقاً سواء أكان عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة، والله أعلم.

فصل: أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء

(١) أخرج صدر حديث ابن عمر أحمد فى مسنده إلى قوله: «وإن الأمر آنف - أى مستأنف - لم يقدره الله ولا قضاه بل العباد تقع أعمالهم بلا قدر سابق» وبقيته كما فى الدر المنثور: «إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم» وعجز الحديث قوله: «فإذا لقيتهم» إلخ أخرجه مسلم فى أول صحيحه.

الأمصار على أن السُّنة التى توفى عليها رسول الله ﷺ أولها الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به والنهى عما نهى الله عنه وإخلاص العمل والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة بارا وفاجرًا والصلاة على من مات من أهل القبلة.

والإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبى ﷺ والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على بن أبى طالب ﷺ أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبى ﷺ وأولاده وأصحابه ﷺ أجمعين[1].

فائدة: فهيا من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها: ما لو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعد أو وعيد كفر. ولو قال لو أمرنى الله بكذا ما فعلت كفر، ولو صارت القبلة فى هذه الجهة ما صليت إليها كفر. ولو قيل له: لا تترك الصلاة فإن الله يؤاخذك فقال: لو آخذنى بها مع ما فىَّ من المرض والشدة ظلمنى كفر. ولو قيل له: قلم أظافرك فإنها سنة، قال: لا أفعل وإن كانت سنة، كفر. ولو قال: فلان فى عينى كاليهودى كفر. وجاء فى وجه: من قال لمسلم: لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان كفر. وجاء أيضًا: أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال: أريد أن تحلف بالطلاق، كفر، واختلفوا فى من قال: رؤيتى لك كرؤية الموت، فقال بعضهم: يكفر، ولو قال: لو كان فلان نبيا ما آمنت به كفر. ولو قال: إن كان ما قاله صدقًا نجونا كفر. ولو صلى بغير وضوء استهزاءً أو استحلالاً كفر، ولو تنازع رجلان فقال أحدهما: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر: لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغنى من جوع كفر. ولو سمع أذان المؤذن فقال: إنه يكذب كفر. ولو قال: لا أخاف القيامة كفر. ولو وضع متاعه فقال: سلمته إلى

---

(1) ونرتضى عنهم وهذه عقيدتنا التى ندين الله تعالى بها ولا نخوض فى سيرتهم بالذم فكلهم صحابة مكرمون.

الله فقال له رجل: سلمته إلى من لا يتبع السارق كفر. ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيهًا بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم: قصعة ثريد خير من العلم كفر. ولو ابتلى بمصائب فقال: أخذت مالى وولدى، وماذا نفعل؟ كفر. ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل: ألست بمسلم؟ فقال: لا -متعمدًا- كفر ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم كفر. ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال: هذا زنار، فالأكثرون على أنه يكفر. ولو قال معلم الصبيان اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمى صبيانهم كفر. ولو قال: النصرانى خير من المجوسى كفر. ولو قيل لرجل: ما الإيمان؟ فقال لا أدرى كفر. ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهى: لا دين لك، لا إيمان لك، لا يقين لك، أنت فاجر منافق، أنت فاسق ... ومن هذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود فى النار.

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة إنه أرحم الراحمين.

موعظة عباد الله أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وثملوا من الشهوات وشبعوا، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا، ونصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا، فهم مفترقون فى القبور فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا.

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهر علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لابد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون فى البحر لا يخشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفردًا ... وجسمه الجلو والأبصار والسمع
ولا يقومون والأشهاد قائمة ... والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع

فكيف بالناس والأنباء واقفة عما قليل وما تدرى بما تقع

فى جنان وفوز لا انقطاع له أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع

تهوى بسكانها طوراً وترفعهم إذا رجوا مخرجًا عن غمها قُمعوا

طال البكاء فلم ينفع تضرعهم هيهات لا رقيقة تغنى ولا جزع

٤٢ - الكبيرة الثانية والأربعون

«التسمع على الناس ما يسرون»

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: ١٢) قال ابن الجوزى رحمه الله قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء، قال أبو عبيد: التجسس والتحسس واحد وهو البحث، ومنه الجاسوس، وقال يحيى بن كثير: التجسس بالجيم عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم فالمعنى لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله، وقيل لابن مسعود، هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرًا، وقال: إنا نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيء نأخذ به.

وقال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنية الآنك يوم القيامة» أخرجه البخارى والآنك الرصاص المذاب، نعوذ بالله منه ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(موعظة): عباد الله إن المنايا قد دنت واقتربت، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت، رب شمس طالعة على القبر قد غربت، بأفراخ القنا فخاخ البلا قد نصبت، عباد الله كل المعاصى قد سطرت وكتبت والنفس رهينة بما جنت واكتسبت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، يا من يغتر بالأمانى والآمال الكواذب، ومبارز بالقبايح وما يدرى من يحارب، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب يا من عمره يفنى فى ممره ويسرى كالنجائب. يا من شاب وما تاب هذا من العجائب، يا عجبا كيف نام المطلوب وما غفل الطالب؟

٤٣ - الكبيرة الثالثة والأربعون «النمام»

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم، هذا بيانها:

وأما أحكامها فهى حرام بإجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها

الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١٠-١١) وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:«لا يدخل الجنة نمام»[1] وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما إنه كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز فى كل قبر واحدة وقال: «لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا»[2].

وقوله: «وما يعذبان فى كبير» أى ليس بكبير تركه عليهما أو ليس بكبير فى زعمهما ولهذا قال فى الرواية الأخرى: «بلى إنه كبير» وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين فى الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة»[3] ومعنى من كان ذا لسانين أى يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين، قال الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله: إنما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله: فلان يقول فيك كذا، وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره سواء المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها وسواء أكان من الأقوال أو الأعمال وسواء أكان عيبًا أو غيره فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه. وينبغى للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما فى حكايته فائدة أو دفع معصية، قال: وكل من حملت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال:

الأول: أن لا يصدقه لأنه «نمام» فاسق مردود الخبر.

الثانى: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه فى الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب.

الرابع: أن لا يظن فى المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

---

(١) وكذا رواه أبو داود والترمذى كلهم من حديث حذيفة بن اليمان -رضى الله عنهما-.

(٢) رواه الجماعة وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ.

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم.

الخامس: أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: ١٢).

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه يحكى نميمته وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشىء فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا فى أمرك فإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: ٦) وإن كنت كاذبًا فأنت من أهل الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم: ١١) وان شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا. ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد[1] رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعى لعنه الله، وقال الحسن البصرى: من نقل إليك حديثا فاعلم أن ينقل إلى غيرك حديثك، وهذا مثل قول الناس، من نقل إليك نقل عنك فاحذره، وقال ابن المبارك: ولد الزنا لا يكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطًا من قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: ١٣) والزنيم هو الدعى، وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخا له وذكر له عن بعض إخوانه شيئًا يكرهه فقال له: يا أخى أطلت الغيبة وأتيتنى بثلاث جنايات: بَغَّضْت إلىَّ أخى وشغلت قلبى بسببه واتهمت نفسك الأمينة. وكان بعضهم يقول: من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك، وجاء رجل إلى على بن الحسين رضى الله عنهما فقال: إن فلانا شتمك وقال عنك كذا وكذا، فقال: اذهب إليه، فذهب معه و هو يرى أنه ينتصر لنفسه فلما وصل إليه قال: يا أخى إن كان ما قلت فى حقّا فغفر الله لى وإن كان ما قلت فىَّ باطلا فغفر لك ، وقيل فى قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (المسد: ٤) يعنى امرأة أبى لهب أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة، سمى النميمة حطبًا لأنها سبب العداوة كما أن الحطب سبب لاشتعال النار، ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

(حكاية): روى أن رجلاً رأى غلامًا يباع وهو ينادى عليه: ليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه فمكث عنده أياما، ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته

---

(١) وذكره ابن أبى شامة فى كتابه «الروضتين» فى مناقب محمود بن زنكى رحمه الله.

واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها: نعم واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدى إن سيدتى زوجتك اتخذت لها صديقًا ومحبا غيرك ومالت إليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة وإن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به وصدقه سيده فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها، فقال فى نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم فلذلك سمى الله النمام فاسقا فى قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

(**موعظة**): يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا، يا غافلا عن التلفت وقد أدركه إدراكًا، يا مغرورًا بسلامته وقد نصب له الموت شراكًا، تفكر فى ارتحالك وأنت على حالك فإن لم تبك فتباكى.

حميمك فاعلم أنها ستعود	كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعبا	مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يومًا مر إلا كأنه	بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفانى وقد حان حينه	أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضى ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلفته، وهو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم	وتُنسى ويهوى الحى بعد هواكا
كأن الذى يحثو عليك من الثرى	يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كما فيها رهون دفينة	غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

٤٤- الكبيرة الرابعة والأربعون «اللعان»

قال النبى ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1] وقال ﷺ: «لعن المؤمن

(١) أخرجه الجماعة الا أبا داود، من حديث ابن مسعود... اهـ ترغيب.

كقتله» أخرجه البخارى[1]، وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[2] وقال ﷺ: «لاينبغى لصدِّيق أن يكون لعانا»[3] وفى الحديث: «ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذئ» والبذىء هو الذى يتكلم بالفحش ورديء الكلام، وعن رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالاً فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذى لعن إن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها»[4] وقد عاقب النبى ﷺ: من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها، قال عمران بن حصين بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة» قال عمران: فكأننى أنظر إليها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد، أخرجه مسلم[5]، وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم[6] وعن عمرو بن قيس قال: إذا ركب الرجل دابته قالت: اللهم اجعله بى رفيقا رحيمًا فإذا لعنها قالت: على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل.

(فصل) فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ١٨) وقال: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه» وأنه قال: «لعن الله المحلِّل والمحلَّل له» وأنه قال: لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة» فالواصلة: هي التى تصل شعرها، والمستوصلة: هى التى يوصل لها، والنامصة: التى تنتف الشعر

(١) رواه الجماعة سوى ابن ماجه من حديث الضحاك اهـ ترغيب.

(٢) من حديث أبى الدرداء وكذا أبو داود بدون لفظ «يوم القيامة» كذا فى الترغيب.

(٣) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ونحوه عند الحاكم وصححه... اهـ ترغيب.

(٤) رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء اهـ ترغيب ونحوه عند أحمد من حديث ابن مسعود بسند جيد أفاده فى ترغيبه.

(٥) ونحوه عند أحمد من حديث أبى هريرة وعند أبى يعلى وابن أبى الدنيا من حديث أنس بأسانيد جيدة كما فى الترغيب.

(٦) رواه البزار بإسنادين أحدهما أقوى وهو فى بعض نسخ أبى داود بنحوه هذا وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند الطبرانى ومن حديث سعيد بن زيد عند أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات اهـ ترغيب، وفى موضعين أحدهما الترغيب عن الغيبة والبهت والثانى الترغيب فى صلة الرحم.

من الحاجبين والمتمصة التى يفعل بها ذلك، وأنه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقة، فالصالقة: هى التى ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: هى التى تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة: هى التى تشق ثيابها عند المصيبة. وأنه ﷺ لعن المصورين، وأنه لعن من غير منار الأرض -أى حدودها- وأنه قال: «لعن الله من أضل أعمى وأنه لعن من أتى كاهنا أو أتى امرأة فى دبرها ولعن النائحة ومن حولها ولعن من أم قومًا وهم له كارهون ولعن امرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ولعن من ذبح لغير الله، ولعن رجلا سمع «حى على الصلاة.. حى على الفلاح» ثم لم يجب، ولعن من ذبح لغير الله ولعن السارق ولعن من سب الصحابة، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة، ولعن من سل سخيمته على الطريق - يعنى: تغوط على طريق الناس - ولعن السلتاء - والمرأة السلتاء: التى لا تخضب يديها، والمرأة التى لا تكتحل - ولعن من خبب امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده - يعنى أفسدها أو أفسده - ولعن من أتى حائضًا أو امرأة فى دبرها، ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة ولعن مانع الصدقة - يعنى: الزكاة - ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، ولعن من كوى دابة فى وجهها ولعن الشافع والمشفع فى حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ولعنها إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إذا أمكنه. ولعن الفاعل والمفعول به - يعنى: اللواط - ولعن الخمر وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليها، وقال ﷺ: «ستة لعنتهم .. لعنهم الله وكل نبى مجاب الدعوة: المكذب بقدر الله، والزائد فى كتاب الله، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتى حرم الله، والتارك لسنتى» ولعن الزانى بامرأة جاره ولعن ناكح يده ولعن ناكح الأم وبنتها، ولعن الراشى والمرتشى فى الحكم والرائش - يعنى الساعى بينهما - ولعن من كتم العلم ولعن المحتكر ولعن من أخفر مسلمًا - يعنى: خذله ولم ينصره - ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة، ولعن المبتلين من الرجال الذين يقولون: لا نتزوج، والمتبتلات من

النساء، ولعن راكب الفلاة وحده، ولعن من أتى بهيمة، نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله.

(فصل):اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين، ونحو ذلك كما تقدم، وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشىء من المعاصى كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام وأشار الغزالى رحمه الله إلى تحريمه إلا فى حق ما علمنا أنه مات على الكفر كأبى لهب وأبى جهل وفرعون وهامان وأشباههم، قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق والكافر، وقال وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال: «اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله» وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر، قال: ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم، كقول الإنسان: لا أصح الله جسمه، ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم، قال بعض العلماء: من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله: إلا أن يكون لا يستحق.

(فصل):ويجوز للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك، ويلك، أو يا ضعيف الحال، أو: يا قليل النظر لنفسه، أو يا ظالم نفسه أو ما أشبه ذلك، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب، لا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقًا فى ذلك، وإنما ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ويكون الكلام أوقع فى النفس، والله أعلم.

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ولوالدينا ولجميع المسلمين.

(موعظة):يا قليل الزاد والطريق بعيد، يا مقبلا على ما يضر تاركا لما يفيد، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد:

مضى أمسك شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك شهيد

فإن كنت بالأمس واقترفت إساءة — فبادر بإحسان وأنت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد — فرب غد يأتى وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت — حميمك فاعلم أنها ستعود

٤٥- الكبيرة الخامسة والأربعون

«الغدر وعدم الوفاء بالعهد»

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤)، قال الزجاج: كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد.

قال الواحدى: قال ابن عباس فى رواية الوالبى «العهود» يعنى: ما أحل وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن، وقال الضحاك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١).

بالعهود التى أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها ما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائص والعقود، وكذا العهود، جمع عهد، «العهد» بمعنى المعقود، وهو الذى أحكم ما فرض الله علينا، أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال، وقال مقاتل بن حيان، ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ التى عهد الله إليكم فى القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذى نهاكم عنه، وبالعهود التى بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس، والله أعلم، وقال النبى ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا أوتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» مخرج فى الصحيحين[1]، وقال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان»[2] وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره» أخرجه البخارى[3]، وقال ﷺ: «من خلع يدًا من طاع الله لقى الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية» أخرجه البخارى[4] وقال ﷺ: «من أحب

---

(١) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما اهـ ترغيب.
(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.
(٣) وكذا رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضي الله عنه اهـ ترغيب.
(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه إن استطاع، فإن جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[١].

٤٦ - الكبيرة السادسة والأربعون

«تصديق الكاهن والمنجم»

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦) قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الكلبى: لا تقل ما ليس لك به علم، وقال قتادة: لا تقل: سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم ، والمعنى: لا تقولن فى شىء بما لا تعلم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ قال الوالبى: عن ابن عباس: يسأل الله العباد فيم استعملوها وفى هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦- ٢٧) قال ابن الجوزى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ هو الله عز وجل وحده لا شريك له فى ملكه ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ أى: فلا يطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ﴾ الذى لا يعلمه أحد من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب، والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب، ففى هذه دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر، والله أعلم. وقال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[٢]، وروينا فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه: قال: صلى بن رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال «هل تدرون ماذا قال ربكم»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن

---

(١) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفى أسانيدهم كلام ذكره المنذرى فى مختصره لسنن أبى داود ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما وله شاهد من حديث جابر عند البزار بإسناد جيد، ومن حديث أنس عند الطبرانى بسند فيه رشدين بن سعد اهـ ترغيب.

بى وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا .. فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب».

قال العلماء: إن قال مسلم: مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر كافرًا مرتدا بلا شك، وإن قال مريدًا أنه علامة نزول المطر عند هذه العلامة ونزوله يفعل الله وخلقه لم يكفر، واختلفوا فى كراهته، والمختار: أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث.

وقوله: فى إثر سماء: السماء هنا المطر: والله أعلم، وقال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافًا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يومًا» رواه مسلم[1] وعن عائشة ﵂ قالت: سأل رسولَ الله ﷺ أناسٌ عن الكهان فقال: «ليس بشىء» قالوا يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه - أى: يلقيها - فيخلط معها مائة كذبة» مخرج فى الصحيحين، وعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل فى العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» رواه البخارى.

وعن قبيصة بن أبى المخارق ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة من الجبت» رواه أبو داود، وقال: الطرق: الزجر أى زجر الطير وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه، فإن طار إلى جهة اليمين تيمن وإن طار إلى جهة الشمال تشاءم قال أبو داود: العيافة: الخط، قال الجوهرى: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك، وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» وقال على بن أبى طالب: الكاهن ساحر والساحر كافر فى الدنيا والآخرة، فنسأل الله العافية والعصمة.

(موعظة) عباد الله .. تفكروا فى سلفكم قبل تلفكم وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم، أين الأقران والإخوان؟ أين من شيد الإيوان؟ رحلوا والله عن الأوطان ومزقت فى اللحود تلك الأكفان،

---

(١) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ.

هتف نذير بأهل العرفان: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦) تقلبت بهم الأحوال، ولعب بهم فى أيدى الليالى، وشغلوا عن الأولاد والأموال، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال، عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم فى المقال - لقال:

من رآنا ليحدث نفسه ... أنه وقف على قرب زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ... ولما تأتى به صم الجبال

رب ركب قد أناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليهم قدمت ... وعتاق الخيل تردى بالجلال

عمروا دهراً بعيش ناعم ... أبيض دهرهم غير محال

ثم أضحوا لعب الدهر بهم ... وكذلك الدهر يودى بالرجال

٤٧ - الكبيرة السابعة والأربعون

«نشوز المرأة على زوجها»

قال الله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ (النساء ٣٤) قال الواحدى رحمه الله تعالى: النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف، وقال عطاء: هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عمن كانت من الطواعية ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ قال ابن عباس: هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ﴿واضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربا غير مبرح، وقال ابن عباس: أدبا مثل اللكزة، وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله مما ذكره الله فى هذه الآية ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ﴾.

قال ابن عباس: فلا تتجنوا عليهن العلل، وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح»[1] وفى لفظ: «فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح» ولفظ الصحيحين أيضًا[2]: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنا زوجها».

(١) من حديث أبى هريرة وكذا رواه أبو داود والنسائى، قاله فى الترغيب.

(٢) وكذا النسائى من حديث أبى هريرة أيضًا، أفاده المنذري.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو»(١).

وعن الحسن قال: حدثنى من سمع النبى ﷺ: يقول: «أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها»(٢) وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه»(٣) أخرجه البخارى، ومعنى شاهد: أى حاضر غير غائب وذلك فى صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته، وقال ﷺ: لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الترمذى(٤)، وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبى ﷺ: «انظرى من أين أنت منه فإنه جنتك ونارك» أخرجه النسائى، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى تستغني عنه»(٥) وجاء عنه ﷺ أنه قال: «إذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب»(٦) وقال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»(٧).

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما عن رواية زهير بن محمد، قاله فى الترغيب وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه وكذا زهير بن محمد، التميمى.

(٢) رواه أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أنس، زاد فى آخره «وعن بعلها كيف عملت إليه» اهـ منتخب كنز العمال والبعل هو الزوج، وهذا يبين لنا مدى حق الزوج على زوجته وأن حقه بعد حق الله على الزوجة.

(٣) من حديث أبى هريرة وكذا مسلم وغيرهما.

(٤) من حديث أبى هريرة وقال: حسن صحيح وله شاهد من حديث عائشة عند ابن ماجه وقيس بن سعيد عند أبى داود وابن أبى أوفى عند ابن ماجه وابن حبان ومعاذ عند الحاكم، أفاده فى الترغيب.

(٥) رواه النسائى بإسناد صحيح قاله المصنف فى رسالته الصغرى فى الكبائر، وزاد فى الترغيب البزار والحاكم وصححه.

(٦) رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وأشار المنذرى لضعفه ولفظه: «ولا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع» اهـ ترغيب.

(٧) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه والحاكم وصححه كلهم من حديث مساور الحميرى عن أمه عن أم سلمة اهـ ترغيب.

متى أرادها لقول النبى ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وإن كانت على التنور» قال العلماء: إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل أن تجيئه ولا يحل للرجل أيضًا أن يطلب ذلك منها فى حال الحيض والنفاس ولا يجامعها حتى تغتسل لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) أى لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن، قال ابن قتيبة: يطهرن: ينقطع عنهن الدم فإذا تطهرن أى اغتسلن بالماء، والله أعلم، ولما تقدم من قول النبى ﷺ: «من أتى حائضًا أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد»[١] وفى حديث آخر: «ملعون من أتى حائضًا أو امرأة فى دبرها» والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها فى حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف فى نفسها ولا فى ماله إلا بإذنه وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها ولا تعيره بقبح إن كان فيه.

قال الأصمعى: دخلتُ البادية فإذا امرأة حسناء لها بعل (أى زوج) قبيح فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكونى تحت مثل هذا؟ فقالت: اسمع يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه ولعلى أسأت فجعله عقوبتى.

وقالت عائشة ﵂ يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة تمسح الغبار عن قدمى زوجها بحر وجهها وقال ﷺ: «ونساؤكم من أهل الجنة: الولود التى إذا أذت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى»[٢].

ويجب على المرأة أيضًا دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدَّامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه والابتعاد عن جميع ما يسخطه والقيام معه عند خروجه وعرض نفسها عليه عند نومه وترك الخيانة له فى غيبته فى فراشه وماله وبيته وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك

---

(١) رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن حبان فى صحيحه من حديث طلق بن على اهـ ترغيب.

(٢) رواه الطبرانى من حديث أنس ورواته محتج بهم فى الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشى لم يقف المنذرى فيه على جرح ولا تعديل قال: وقد روى هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما اهـ ترغيب.

والطـيب ودوام الزينة بحضرته وتركها الغيبة وإكرام أهله وأقاربه وترى القليل منه كثيرًا.

(فصل) في فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية، ينبغى للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها لقول النبى ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة»[1] وفى الحديث أيضًا: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت»[2].

وروى عنه ﷺ أنه قال: «يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء والحيتان فى الماء والملائكة فى السماء والشمس والقمر ما دامت فى رضا زوجها، وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأيما امرأة كحلت في وجه زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع».

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضًا قال: «أربع من النساء فى الجنة وأربع فى النار فأما اللواتي فى الجنة فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء إن غاب عنها حفظت نفسها وماله وإن حضر أمسكت لسانها عنه[3]، والرابعة امرأة مات زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا، وأما الأربع اللواتى فى النار من النساء: فامرأة بذيئة اللسان على زوجها - أى طويلة اللسان - فاحشة الكلام إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها والثانية امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق، والثالثة امرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا طاعة زوجها» فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب إلى الله وقال النبى ﷺ: «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[4] وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ولرسوله

---

(١) تقدم تخريجه آنفًا.

(٢) رواه أحمد والطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ: «قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت» ورواه أحمد ورواته رواة الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن فى المتابعات اهـ ترغيب.

(٣) (تنبيه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانية ولا ثالثة.

(٤) مخرج فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها.

ولأزواجهن وكثرة تبرجهن، والتبرج إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت هى بنفسها لم يسلم الناس منها، ولهذا قال النبى ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان».

وأقرب ما تكون المرأة من الله ما كانت فى بيتها، وفى الحديث أيضًا: «المرأة عورة فاحبسوها فى البيوت فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها: أين تريدين؟ قالت: أعود مريضًا أشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها»، وقال على رضي الله عنه لزوجه فاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة ما خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى الرجال ولا يرونها، وكان على رضي الله عنه يقول: ألا تستحيون ألا تغارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها، وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يومًا عند النبى ﷺ جالستين فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى قال النبى ﷺ: «احتجبا منه» فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ: «أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه»(1).

فكما أنه ينبغى للرجل أن يغض طرفه عن النساء فكذلك ينبغى للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها: إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها، فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة فى ملحفة وسخة فى ثياب بيتها وتغض طرفها فى مشيتها وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت عاصية، وقد حكى ان امرأة كانت من المتبرجات فى الدنيا تخرج من بيتها متبرجة فماتت فرآها بعض أهلها فى المنام وقد عرضت على الله عز وجل فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها وقال خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات فى الدنيا.

---

(١) رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال: حسن صحيح من حديث نبهان مولى أم سلمة قال: كنت عند النبى ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أنا أمرنا بالحجاب إلخ فقال أبو داود: هذا لأزواج النبى ﷺ خاصة ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبى ﷺ: «اعتدى عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده» قال الحافظ فى التلخيص: وهذا جمع حسن، وبه جمع المنذرى فى حواشيه واستحسنه شيخنا - يعنى العراقى اهـ من سنن أبى داود وشرحها عون المعبود.

وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه: دخلت على النبى ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكى بكاءً شديدًا فقلت له: فداك أبى وأمى يا رسول الله ما الذى أبكاك؟ قال: «يا علي ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت نساء أمتي يعذبن بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب فى حلقها، ورأيت امرأة معلقة بثدييها تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب ورأيت رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف نوع من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار».

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت: حبيبى وقرة عينى ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب؟ فقال ﷺ: «يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطى شعرها من الرجال، وأما التى كانت معلقة بلسانها فإنها تؤذى زوجها وأما المعلقة بثدييها فإنها كانت تفسد فراش زوجها، وأما التى تشد رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة.

وأما التى رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت نمامة كذابة.

وأما التى على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذى المرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله»(١) و«يا بنية الويل لامرأة تعصي زوجها»(٢)، فالزوج أيضا مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩) ولقول النبى ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان لكم .. ألا إن لكم على نسائكم حقّا ولنسائكم عليكم حقا، فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنَّ فى بيوتكم لمن

(١) وتمامه «لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك» رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٢) قوله: يا بنية الويل إلخ ليس من حديث معاذ ولعله من حديث على وفاطمة السابق لمناسبته لسياقه.

تكرهون»[1] وقوله ﷺ: «عوان» أى أسيرات جمع عانية وهى الأسيرة، شبه رسول الله ﷺ المرأة فى دخولها تحت حكم الرجل بالأسير.

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله»[2] وفى رواية: «خيركم ألطفكم بأهله» وكان رسول الله ﷺ: شديد اللطف بالنساء. وقال ﷺ «أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون».

وقد روى أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت ولا يرد عليها فانصرف الرجل راجعًا وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالى؟ فخرج عمر فرآه موليا عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها علىَّ، فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى؟ فقال عمر: يا أخى إنى احتملتها لحقوق لها علىَّ: إنها طباخة لطعامى وخبازة لخبزى وغسالة لثيابى مرضعة لولدى وليس ذلك كله واجب عليها ويسكن قلبى بها على الحرام فأنا احتملها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتى، قال عمر: فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة.

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله وكان من الصالحين يزوه فى كل سنة مرة فجاء لزيارته فطرق الباب فقالت امرأته: من؟ فقال: أخو زوجك فى الله جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلَّمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلَّم على أخيه ورحَّب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك، ثم

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح وهو من حديث عمرو بن الأحوص الجشمى أنه سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع إلخ اهـ ترغيب.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها وله شاهد من حديث ابن عبسى عند ابن ماجه والحاكم وصححه ومن حديث أبى هريرة عند الترمذى وابن حبان وصححه الترمذى اهـ ترغيب.

أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها فأكل مع أخيه شيئًا ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة، قال: فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟ قال: أخو زوجك فى الله فلان فقالت: مرحبًا وأهلاً وسهلاً اجلس فإنه سيأتى إن شاء الله بخير وعافية، قال: فتعجب من لطف كلامها، وأدبها إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضًا من ذلك فجاء فسلَّم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعامًا لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف، فلما أراد أن يفارقه قال: يا أخى أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه قال: وما هو يا أخى؟ قال عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرًا ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفًا لا تذمذم ورأيتك تحمل بالحطب على ظهرك فما السبب؟ قال: يا أخى توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابرًا على خلقها وما يبدو منها كنت معها فى تعب وأنا احتملها فكان الله قد سخَّر لى الأسد الذى رأيت يحمل عى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة، فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

٤٨- الكبيرة الثامنة والأربعون

«التصوير فى الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء أكانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف أو غير ذلك والأمر بإتلافها»

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧) قال عكرمة: هم الذين يصنعون الصور، وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» مخرج فى الصحيحين، وعن عائشة ﵂ قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال: «يا عائشة أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله

عز وجل» قالت عائشة ﵂: فقطعته فجعلت منه وسادتين. مخرج فى الصحيحين، (القرام بكسر القاف وهو الستر والسهوة كالصفة تكون بين يدى البيت) وعن ابن عباس ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب فى نار جهنم» مخرج فى الصحيحين، وعنه ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ أبدًا»[١] وعنه ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا ذرة» مخرج فى الصحيحين.

وقال ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول إنى وكلت بثلاثة: بكل من دعا مع الله إلها آخر وبكل جبار عنيد وبالمصورين»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» مخرج فى الصحيحين.

وفى سنن أبى داود عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا جنب» وقال الخطابى رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا جنب» يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب، وقد قيل: إنه لم يرد الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ولكنه الذى يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذه عادة فإن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه.

وقالت عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء[٣].

وأما الكلب فهو أن يقتنى كلبا لا لزرع ولا لضرع أو صيد، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه فى بعض الأمور أو لحراسة داره إذا اضطر إليه فلا حرج عليه إن شاء الله.

وأما الصور فهى كل مصور من ذوات الأرواح سواء أكانت لها أشخاص

---

(١) رواه البخارى وفيه قصة اهـ ترغيب.

(٢) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال: حسن صحيح اهـ ترغيب.

(٣) رواه الترمذى وأعله.

منتصبة أو كانت منقوشة فى سقف وجدار أو موضوعة فى نمط أو منسوجة فى ثوب أو مكان، فإن قضية العموم تأتى عليه فليجتنب وبالله التوفيق.

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها، وروى مسلم فى صحيحه[1] عن حيان بن حصين قال: قال لى على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته.

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

٤٩- الكبيرة التاسعة والأربعون

«اللطم والنياحة»

«وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة»

روينا فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

وروينا فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «برئ من الصالقة والحالقة والشاقة» الصالقة التى ترفع صوتها بالنياحة، والحالقة: التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة، والشاقة: التى تشق ثيابها عند المصيبة وكل هذا حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه والدعاء بالويل والثبور.

وعن أم عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لا ننوح، رواه البخارى، وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنتان فى الناس هما بهم كفر: الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت» رواه مسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة، رواه أبو داود، وعن أبي بردة قال: وجع أبو موسى الأشعرى فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها فلما أفاق قال: أنا بريء مما برىء منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة[٢].

---

(١) وكذا أبو داود والترمذى، وحيان بن حصين هو أبو الهياج الأسدى.

(٢) رواه البخارى وابن ماجه والنسائى، كذا فى الترغيب.

وعن النعمان بن بشير -رضى الله عنهما- قال: أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول: واكذا واكذا، فقال حين أفاق: ما قلت شيئًا إلا قيل لى: أنت كذا أنت كذا؟ أخرجه البخارى[1].

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه». وعن أبى موسى رضي الله عنه قال: ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واسيداه واجبلاه واكذا واكذا ونحو ذلك وكل به ملكان يلهزانه أهكذا أنت؟ أخرجه الترمذى[٢].

وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[٣] وقال ﷺ: «إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة ولهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمش فى وجه وشق فى جيوب ورنة شيطان» وقال الحسن: صوتان ملعونان: مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة.

وقال رسول الله ﷺ: «إن هذه النوائح يجعلن صفين فى النار فينبحن فى أهل النار كما تنبح الكلاب»[٤]، وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه درة فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكى بشجوكم إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم وإنها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياءكم فى دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

واعلم أن النياحة رفع الصوت بالندب والندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل: هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه.

قال العلماء: ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام، روينا فى صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء

---

(١) وزاد: فلما مات لم تبك عليه اهـ ترغيب.

(٢) وقال: حديث حسن غريب، وكذا رواه ابن ماجه اهـ ترغيب.

(٣) رواه مسلم وابن ماجه من حديث أبى مالك الأشعرى.

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وأشار المنذرى فى الترغيب إلى ضعفه.

رسول الله ﷺ بكوا، فقال: «ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم» وأشار إلى لسانه وروينا فى صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» وروينا فى صحيح البخارى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: «يا ابن عوف إنها الرحمة» ثم أتبعها بأخرى فقال: «إن العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».

وأما الأحاديث الصحيحة، أن الميت يعذَّب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هى مؤولة، واختلف العلماء فى تأويلها على أقوال أظهرها، والله أعلم: أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك.

قال أصحاب الشافعى: ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح: «فإذا وجبت فلا تبكين باكية» وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم وتأولوا حديث: «فلا تبكين باكية» على الكراهية، والله أعلم.

فصل: وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ونهيا عن الجزع والسخط قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣) قال عطاء عن ابن عباس: يقول: إنى معكم أنصركم ولا أخذلكم وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ (البقرة: ١٥٥) أى لنعاملكم معاملة المبتلى لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب، وقوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ١٥٥) وقال ابن عباس: يعنى خوف العدو والجوع يعنى المجاعة والقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ﴾ (البقرة: ١٥٥) يعنى الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشى ﴿وَالأَنفُسِ﴾ (البقرة: ١٥٥) بالموت والقتل والمرض والشيب ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: ١٥٥) يعنى الجوائح وأن لا تخرج الثمرة كما كانت، ثم ختم الآية

بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥) ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ (البقرة: ١٥٦) أي نالتهم نكبة مما ذكر، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة: ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٦) عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦) بالهلاك وبالفناء ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم إذ قد ملك فى الدنيا قوما الحكم فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل.

وعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصيبة يصاب بها المؤمن إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» رواه مسلم[1] وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب»[2] وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة: قبضتم ولد عبدى؟ فيقول: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة سموه بيت الحمد»[3] وعن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدى عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب إلا الجنة» رواه البخارى.

وقال ﷺ: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى» وعن عمر بن الخطاب ﵁ قال: إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل الميت ضجة فمنهم الصاكة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام: مما هذا الجزع ومما هذا الفزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمرا ولا ذهبت لأحدكم برزق ولا ظلمت لأحد منكم شيئًا، فإن كانت شكايتكم وسخطكم علىَّ فإنى والله مأمور وإن كان على ميتكم فإنه مقهور وإن كان على ربكم فأنتم به كافرون، وإن لى بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدًا، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) كذا وشاهده عندهما من حديث أبى سعيد الخدرى كما أفاده فى الترغيب.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد وثقه ابن حبان وضعفه غيره اهـ مجمع الزوائد.

(٣) رواه الترمذى وابن حبان وقال الترمذى: حسن غريب اهـ ترغيب.

«والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم».

فصل فى التعزية: عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال: «من عزى مصابا فله مثل أجره» رواه الترمذى[1].

وعن أبى بردة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «من عزى ثكلى كُسِىَ بُردًا من الجنة» رواه الترمذى[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها: «ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟ قالت: أتيت أهل هذا البيت فترحمت إليهم ميتهم وعزيتهم به»[3].

وعن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ: «ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة»[4].

واعلم رحمك الله .. أن التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهــــون مصيبته وهـى مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضًا داخلة فى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢) وهذا من أحسن ما يستدل به فى التعزية واعلم أن التعزية وهى الأمر بالصبر مستحبة قبل الدفن لا بعده قال أصحاب الشافعى من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام، قال أصحابنا: وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأنها تسكن قلب المصاب والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن، هكذا قال الجماهير من أصحابنا، وقال أبو العباس -من أصحابنا-: لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبدا وإن طال الزمان، قال النووى رحمه الله: والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام إلا فى صورتين استثناهما أصحابنا وها إذا كان المعزى أوصاحب المصيبة غائبًا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام، والتعزية بعــد الدفن أفضل منها قبله لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزعا، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم والله أعلم.

(١، ٢) وقال فى كليهما -أى الترمذى- حديث غريب وزاد فى الأول أنه روى موقوفا أفاده فى الترغيب.

(٣) رواه أبو داود والنسائى بسند فيه ربيعة بن سيف تابعى من أهل مصر، فيه كلام لا يقدح فى حسن الإسناد أهـ ترغيب.

(٤) رواه ابن ماجه وسكت عليه المنذرى فى ترغيبه.

ويكره الجلوس للتعزية، يعنى أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روينا فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابنا لها فى الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول: «ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب» وذكر تمام الحديث، قال النووى رحمه الله: فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه والآداب والصبر على النوازل والهموم والأسقام وغير ذلك من الأغراض.

ومعنى قوله: «إن لله ما أخذ»: أن العالم كله ملك لله لم يأخذ ما هو لكم بل هو آخذ ما هو له عندكم في معنى العارية، وقوله: «وله ما أعطى» وما وهبه لكم ليس خارجًا عن ملكه بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء «وكل شيء عنده بأجل مسمى» فلا تجزعوا فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم، والله أعلم.

وعن معاوية بن إياس عن أبيه رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه فقد رجلاً من أصحابه فسأل عنه فقالوا: يا رسول الله ابنه الذى رأيته هلك، فلقيه النبى ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال: «يا فلان أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أو لا تأتى غدًا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك»؟ فقال: يا نبى الله يسبقنى إلى الجنة يفتحها لى أحب إلىَّ، قال: «فذلك لك» فقيل يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: «بل للمسلمين عامة»[1]، وعن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه خرج إلى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكى فقال لها: «يا أمة الله اتقي الله واصبرى»[2] قالت: يا عبد الله إنى أنا الحرى الثكلى، قال: «يا أمة الله اتقى الله واصبرى قالت: يا عبد الله

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والنسائى وابن حبان فى صحيحه باختصار اهـ ترغيب.

(٢) رواه أبو يعلى فى مسنده من حديث أبى هريرة وأبى موسى وفى سنده بكر بن الأسود الناجى وهو ضعيف قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد، قلت: وأصله فى الصحيحين من حديث أنس مختصرًا وصاحبه أبو هريرة لا أبو موسى كما فى الهيتمى (أى فى الزواجر) وفتح البارى فى شرح حديث أنس: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» فى كتاب الجنائز من صحيح البخارى، انظره فى فتح البارى تحقيق/ طه عبد الرءوف سعد ط/ دار الغد العربى.

قد أسمعتنى فانصرف، قال فانصرف، عنها رسول الله ﷺ وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها: ما قال الرجل؟

فأخبرته بما قال وبما ردت عليه، فقال أتعرفينه؟ قالت: لا والله، قال، ويحك ذلك رسول الله ﷺ: فبادرت تسعى حتى أدركته فقالت: يا رسول الله أصبر؟ قال: «إنما الصبر عن الصدمة الأولى» أى إنما الصبر عند مفاجأة المصيبة وأما فيما بعد فيقع السلو طبعًا.

وفى صحيح مسلم: مات ابن لأبى طلحة من أم سُلَيْم فقالت لأهله: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه، فجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا.. قالت أم سليم: فاحتسب ابنك، قال: فغضب أبو طلحة فقال تركتينى حتى إذا تلطخت أخبرتيني بابنى، والله لا تغلبيني على الصبر، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما فى ليلتكما» فذكر الحديث، وفى الحديث: «ما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»[1] وقال على رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا وإلا سلوت كما تسلو البهائم. وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة، إنك قد ذهب منك ما رزئت به فلا يذهبن عنك ما عوضت عنه وهو الأجر، وقال آخر: العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعهل الجاهل بعد خمسة أيام، قلت: قد علم أن ممر الزمان يسلى المصاب فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى، وبلغ الشافعى رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدى رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعًا شديدًا فبعث إليه الشافعى رحمه الله يقول: يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟ فتناول حظك يا أخى إذا هرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك، ألهمك الله عند المصائب صبرًا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرا، وكتب إليه يقول:

---

(١) رواه البخارى ضمن حديث طويل اهـ ترغيب.

إني معزيك لا أني على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزَّى بباق بعد ميته ولا المعزِّى ولو عاشا إلى حين

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه: أما بعد. فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة فإذا قدمه فصلاة ورحمة فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوَّضك الله تعالى من صلاته ورحمته.

وقال موسى بن المهدى لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابنه: أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة؟

وعزى رجل رجلاً فقال: إن من كان لك فى الآخرة أجرًا خير ممن كان فى الدنيا سرورًا وفرحًا.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أنه دفن ابنا له ثم ضحك عند القبر فقيل له: أتضحك عند القبر؟ فقال: أردت أن أرغم الشيطان، وعن ابن جريج رحمه الله قال: من لم يتعوض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم، وعن حميد الأعرج قال: رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول فى ابنه ونظر إليه: إنى أعلم خير خلة فيك، قيل وما هى؟ قال: يموت فأحتسبه.

وعن الحسن البصرى رحمه الله أن رجلاً حزن على ولد له وشكا ذلك إليه فقال الحسن: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم.. كانت غيبته أكثر من حضوره، قال: فاتركه غائبًا فإنه لم يغب عنك غيبته إلا لك فيها أعظم من هذه، فقال: يا أبا سعيد هونت علىَّ وجدى على ابنى.

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه فى وجعه فقال: يا بنى كيف تجدك؟ قال: أجدنى فى الحق، قال: يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحب إلىَّ من أن أكون فى ميزانك: قال: يا أبت .. لأن يكون ما تحب أحب إلىَّ من أن يكون ما أحب.

ومات ابن للإمام الشافعى فأنشد يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر به رزية مال أو فراق حبيب

ووقعت فى رجل عروة الأكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع القيام تلك الليلة إلا أنه قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ **(الكهف: ٦٢)** وتمثل بهذه الأبيات:

لعمرى ما أهويت كفى لريبة ... ولا نقلتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ... ولا دلنى رأى عليها ولا عقلى
واعلم أنى لم تصبنى مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضي الله عنه: اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت وإن كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضوًا، وأبقيت أعضاء وأخذت ابنا وأبقيت أبناء.

وقدم على الوليد فى تلك الليلة رجل أعمى من بنى عبس فسأله عن عينيه فقال: بت ليلة فى بطن واد ولم أعلم فى الأرض عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل، فذهب ما كان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى، وكان البعير صعبا فند - أى شرد - فأتبعته فما جاوزت الصبى إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فإذا رأس الصبى فى بطنه فقتله، ثم أتبعت البعير لآخذه فنفحنى برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب بعينى فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا بعير، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن فى الأرض من هو أشد منه بلاءً.

وذكر أن عثمان رضي الله عنه لما ضُرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، اللهم إنى أستعين بك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتنى.

وقال المدائنى: رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدا أنضر منها ولا أحسن وجها منها فقلت: تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور؟ فقالت: كلا والله إنى لبدع أحزان وخلف هموم، وسأخبرك: كان لى زوج لى منه ابنان فذبح أبوهما شاة في يوم أضحى والصبيان يلعبان فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة؟ فقال نعم فذبحه، فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه فى طلبه فتاه أبوه فمات عطشا فأفردنى الدهر، فقلت لها: وكيف أنت والصبر؟ فقالت: لو دام لى لدمت له ولكنه كان جرحًا فاندمل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له فرطان[1] من أمتى دخل الجنة»[2] يعنى ولدين قالت عائشة رضي الله عنها: بأبى أنت وأمى فمن كان له فرط؟ قال ﷺ: «ومن كان له فرط يا موفقة» قلت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ «قال: أنا فرط أمتى لم يصابوا بمثلى».

---

(١) الفرط بفتح الفاء والراء: الذى مات قبل البلوغ ذكرا كان أو أنثى وجمعه أفراط... اهـ منذرى.
(٢) رواه الترمذى وقال: حسن غريب... اهـ ترغيب.

وعن أبى عبيدة رضي الله عنه عن أبيه[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا حصنًا له من النار» فقال أبو الدرداء: قدمت اثنين، قال: «واثنين» قال أبى بن كعب - سيد القراء - قدمت واحدا قال ﷺ: «وواحدا ولكن ذلك فى أول صدمة» وعن وكيع قال: كان لإبراهيم الحربى ابن وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئًا كثيرًا فمات، فجئت أعزيه فقال لى: كنت أشتهى موت ابنى هذا قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث؟ قال: نعم رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبيانا فى أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكأن اليومَ حارٌّ شديد حره، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلىَّ وقال لى: ليس أنت أبى، فقلت: ومن أنتم؟ قال: نحن الصبيان الذين متنا فى الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، فلهذا تمنيت موته.

وروى مسلم عن أبى حسان قال: قلت لأبى هريرة رضي الله عنه: حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم صغارهم دعاميص[2] الجنة يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال بيده - فلا ينتهى حتى يدخله الجنة.

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: كنت فى أول أمري مكبا على اللهو وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بنتا فأحببتها حبا شديدًا إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى فأهرقته بين يدى، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى حزنها، قال فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر، فرأيت فى النوم كأن القيامة قامت وخرجت من قبرى وإذا بتنين قد تبعنى يريد أكلى - والتنين: الحية

---

(١) أبو عبد الله بن مسعود والحديث أخرجه ابن ماجه وأشار المنذرى فى الترغيب إلى ضعفه وليس فى آخره قوله: «ولكن ذلك فى أول صدمة».

(٢) دعاميص بفتح الدال جمع دعموص بضمها، دويبة صغيرة يضرب لونها إلى السواد شبه بها الطفل فى الجنة لصغر سنه وسرعة حركته، وقيل: اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على إذن منهم لا يخاف أين ذهب من ديارهم، شبه به الطفل لكثرة ذهابه فى الجنة حيث شاء لا يمنع من بيت فيها ولا موضع اهـ ترغيب.

العظيمة- قال: فهربت منه فتبعنى وصار كلما أسرعت يهرع خلفى وأنا خائف منه فمررت فى طريقى على شيخ نقى الثياب ضعيف فقلت: يا شيخ بالله أجرنى من هذا التنين الذى يريد أكلى وإهلاكى، فقال: يا ولدى أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طائقة لى به ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه، قال: فأسرعت فى الهرب وهو ورائى فأشرفت على طبقات النار وهى تفور فكدت أن أهوى فيها، وإذا قائل يقول، لست من أهلى فرجعت هاربًا والتنين فى أثرى فأشرفت على جبل مستتير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول: أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه، ففتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرف علىَّ منها أطفال بوجوه كالأقمار وإذا بنتى معهم فلما رأتنى نزلت إلىَّ كفة من نور وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا، وجلست فى حجرى وقالت: يا أبتى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد: ١٦) فقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم، قلت: يا بنية ما تصنعون ههنا؟ قالت: نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنها ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا، فقلت: يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردنى ويريد إهلاكى؟ قالت: يا أبتى ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك، فقلت: ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته؟ قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين قال: ثم ارتفعت واستيقظت، فتبت إلى الله من ساعتى.

فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغارًا ذكورًا أو إناثًا وإنما يحصل للوالدين النفع بهما فى الآخرة إذا صبروا واحتسبوا وقالوا: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٦) أى نحن وأموالنا لله تعالى يصنع بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦) إقرارا بالهلاك والفناء.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب عبدا مصيبة إلا بإحدى خلتين: إما بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بتلك المصيبة أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة».

وقال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط

الأنبياء قبلهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ (يوسف: ٨٤).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ: يقول «من قال عند المصيبة: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله وأخلف له خيرًا منها» قالت: فلما توفي أبو سلمة؟ ثم قلتها فأخلفني الله رسول الله ﷺ»، رواه مسلم.

وعن الشعبي أن شريحا قال: إني لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمده إذا لم يكن أعظم منها، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده أن وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة: ١٥٧) الصلوات من الله: الرحمة والمغفرة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧) يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل: إلى الجنة والثواب.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نعم العدلان ونعم العلاوة: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعم العدلان: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ نعم العلاوة.

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خدا أو شق جيبا أو نشر شعرًا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا أو امرأة.

وقد روى أيضًا أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خدا أو شق جيبا أو نتف شعرًا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يحارب ربه، وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه - يعني من الندب والنياحة وقد تقدم أن الميت يعذب في قبره بما نيح عليه إذا قالت النائحة: واعضداه واناصراه واكاسياه، جبذ الميت وقيل له أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر وفيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى.

حكاية: قال صالح المري: كنت ليلة جمعة بين المقابر فنمت وإذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقًا ونزلت عليهم أطباق مغطية وإذا فيهم

شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم، قال: فتقدمت إليه وقلت: يا شاب .. ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم؟ فقال: يا صالح بالله عليك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وارحم غربتي لعل الله عز وجل أن يجعل لي على يدك مخرجا .. إني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن عليَّ وينحن كل يوم فأنا معذَّب بذلك، النار عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أمي فلا جزاها الله خيرًا. ثم بكى حتى بكيت لبكائه، ثم قال يا صالح بالله عليك اذهب إليها فهي في المكان الفلاني - وعلَّم لي المكان - وقل لها: لِمَ تعذبي ولدك يا أماه .. ربيتني ومن الأسواء وقيتني فلما مت في العذاب رميتني يا أماه لو رأيتني: الأغلال في عنقي والقيد في قدمي وملائكة العذاب تضربني وتنهرني، فلو رأيت سوء حالي لرحمتيني وإن لم تتركي ما أنت عليه من الندب والنياحة الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ويبرز الخلاق لفصل القضاء.

قال صالح: فاستيقظت فزعًا ومكثت في مكاني قلقا إلى الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم إلا الدار التي لأم الصبي الشاب، فاستدللت عليها فأتيتها فإذا بالباب مسود، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار، فطرقت الباب فخرجت إليَّ عجوز فقالت: ما تريد يا هذا؟ فقلت: أريد أم الشاب الذي مات فقالت: وما تصنع بها؟ هي مشغولة بحزنها، فقلت: أرسليها إليَّ، معي رسالة من ولدها، فدخلت فأخبرتها فخرجت أم عليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لي: من أنت؟ قلت: أنا صالح المري، جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا، ورأيته في العذاب وهو يقول: يا أمي ربيتني ومن الأسواء وقيتني فلما مت في العذاب رميتيني، وإن لم تتركي ما أنت عليه الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت إلى الأرض، فلما أفاقت بكت بكاءً شديدًا وقالت: يا ولدي .. يعز عليَّ ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت، وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب وأخرجت إليَّ كيسا فيه دراهم كثيرة وقالت: يا صالح تصدق بهذه عن ولدي، قال صالح: فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت، فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم وأتتهم الأطباق وإذا ذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضا طبق فأخذه فلما رآني جاء إليَّ فقال: يا صالح جزاك الله عني خيرًا خفف الله عني

العذاب وذلك بترك أمي ما كانت تفعل وجاءني ما تصدقت به عني، قال صالح: فقلت: وما هذه الأطباق؟ فقال هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة، يقال له: هذه هدية فلان إليك فارجع إلى أمي وأقرأها مني السلام وقل لها جزاك الله عني خيرًا، قد وصل ما تصدقت به عني وأنت عندي عن قريب فاستعدي، قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب وإذا بنعش موضوع على الباب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لأم الشباب، فحضرت الصلاة عليها ودفنت، إلى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لهما وانصرفت.

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ويعصمنا من النار إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

٥٠- الكبيرة الخمسون «البغـــي»

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **(الشورى: ٤٢)**.

وقال النبي ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» رواه مسلم[١].

وقال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»[٢].

وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ **(القصص: ٧٦)** إلى قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ **(القصص: ٨١)** الآية قال ابن الجوزي رحمه الله: في بغى قارون أقوال:

أحدهما: أنه جعل للبَغية جُعْلا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه بغى بالكفر بالله عز وجل، قاله الضحاك.

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه اهـ ترغيب.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث أبي بكر اهـ ترغيب.

والثالث: بالكفر، قاله قتادة.

والرابع: أنه أطال ثيابه شبرًا قاله عطاء الخراسانى.

والخامس: أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بنى إسرائيل فظلمهم، حكاه الماوردى.

قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ الآية لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا فأوحى الله إليه: إنى قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها، فقال موسى: يا أرض.. خذيه، فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم فقال: يا أرض.. خذيه، فأخذته حتى غيبت قدميه فما زال يقول: يا أرض .. خذيه حتى غيبته، فأوحى الله إليه: يا موسى وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته، قال ابن عباس: فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى، قال سمرة بن جندب: إنه كل يوم يخسف به قامة، قال مقاتل .. فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل: إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام.

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (القصص: ٨١) أى يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١) أى من الممتنعين مما أنزل الله به، والله أعلم.

اللهم إنك إذا أقبلت سلمت وإذا أعرضت أسلمت وإذا وفقت ألهمت وإذا خذلت أنهمت.

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين، آمين.

٥١- الكبيرة الحادية والخمسون

«الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة»

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ (النساء: ٣٦).

قال الواحدى: فى قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أخبرنا أحمد ابن محمد بن إبراهيم المهرجانى بإسناده عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «يا معاذ قلت لبيك وسعديك يا رسول الله قال هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»[1].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: أتى النبي ﷺ أعرابى فقال: يا نبي الله أوصنى، قال «لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت وحرقت ولا تدع الصلاة فإنها ذمة الله ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر»[2].

قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ولا يغلظ لهما ولا يحد النظر إليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدى السيد تذللا لهما، وقوله: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال: يصلهم ويتعطف عليهم ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ببذل يسير ورد جميل ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال: رجل جنب إذا كان غريبًا متباعدًا أهله وقوم أجانب - والجنابة البعد. عن عائشة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[3]، وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول: يا رب أوسعت على أخى وقترت علىَّ، أمسى طاويا ويمسى هذا شبعان سله لم أغلق بابه علىَّ وحرمنى ما قد وسَّعتَ به عليه».

---

(١) هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة والعجب للمؤلف نقله عن الواحدى عن الضعاف والمناكير وهو على طرف التمام فى دواوين الإسلام الشهيرة.

(٢) ذكر المنذرى فى ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه حديث معاذ عند أحمد والطبرانى قال: وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومعاذ فإنه لم يسمع منه، ومنها حديث عند الطبرانى فى الأوسط ولا بأس بإسناده فى المتابعات وحديث أميمة مولاته عند الطبرانى بسند فيه يزيد بن سنان الرهاوى وحديث أبى الدرداء عند ابن ماجه والبيهقى بسند فيه شهر بن حوشب اهـ ترغيب.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة ورواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث ابن عمر ورواه أحمد بإسناد جيد ورواته رواة الصحيح من حديث رجل من الأنصار اهـ ترغيب.

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق فى السفر له حق الجوار وحق الصحبة ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الضعيف يجب إقراؤه أن يبلغ حيث يريد، قال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطئ، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ قال ابن عباس: يريد بالمختال: العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الله والفخور هو الذى يفخر على عباد الله بما خَوَّله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه. عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل شاب كان قبلكم يمشى فى حُلة مختالاً فخورًا إذ ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة» وعن أسامة قال: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» هذا ما ذكره الواحدى(١).

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا فى آخر مرضه يوصى بالصلاة وبالإحسان إلى المملوك ويقول: «الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم»(٢).

وفى الحديث: حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم، وقال رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة سيئ الملكة»(٣).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كنت أضرب مملوكًا بالسوط فسمعت صوتا من ورائى: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» قال: قلت: يا رسول الله لا أضرب مملوكًا لى بعده أبدًا، وفى رواية: سقط السوط من يدى من هيبة رسول الله ﷺ وفى رواية: فقلت: هو حر لوجه الله، فقال: «أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة» رواه مسلم، وروى مسلم أيضا من حديث ان عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضرب غلامًا له حدًّا لم يأته أو لطمه فكفارته أن يعتقه» ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا».

وفى الحديث: «من ضرب بسوط ظلما اقتص منه يوم القيامة»(٤) وقيل لرسول الله ﷺ: كم نعفو عن الخادم؟ قال «فى اليوم سبعين مرة»(٥).

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن بعض بنى رافع بن مكيث عنه ولم يسمعه منه، ورواه أبو داود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبى مرسلا اهـ ترغيب.

(٤) رواه البزار والطبرانى بإسناد حسن اهـ ترغيب.

(٥) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب فى بعض النسخ والترمذى حسن صحيح من حديث عبد الله ابن عمر اهـ ترغيب.

وكان في يد النبى ﷺ يوما سواك فدعا خادمًا له فأبطأ عليه فقال: «لولا القصاص لضربتك بهذا السواك»[(1)] وكان لأبى هريرة رضى الله عنه جارية زنجية فرفع يوما عليها السوط، فقال لولا القصاص لأغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفينى ثمنك، اذهبى فأنت حرة لوجه الله.

وجاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله إنى قلت لأمتى: يا زانية، قال: «هل رأيت عليها ذلك» قلت: لا، قال: «أما إنها ستستقيد منك يوم القيامة»[(٢)] فرجعت إلى جاريتها فأعطتها سوطا وقالت: اجلدينى فأبت الجارية فأعتقتها ثم رجعت إلى النبى ﷺ فأخبرته بعتقها فقال: «عسى» أى عسى أن يكفِّر عتقك لها ما قذفتها به.

وفى الصحيحين أن رسول الله قال: «من قذف مملوكه وهو برئ مما قاله جاء يوم القيامة حدّا إلا أن يكون كما قال»[(٣)] وفى الحديث: «للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق»[(٤)] وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول: «الله الله فى الصلاة وما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله فإنه ملَّككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم»[(٥)].

ودخل جماعة على سلمان الفارسى رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله فقالوا له: ألا تترك الجارية تعجن؟ فقال رضي الله عنه: إنا أرسلناها فى عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملاً آخر، وقال بعض السلف لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك فإذا عصى الله فاضربه على معصيته الله وذكره بالذنوب التى بينك وبينه.

---

(١) رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد والطبرانى كلاهما من حديث أم سلمة.

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وتعقبه المنذرى بأن فيه عبد الملك بن هارون متروك، وفيه أن عبد الله ابن عمرو بن العاص زار عمة له فقذفت جاريتها إلخ بنحو مما هنا.

(٣) من حديث أبى هريرة وكذا روايات وقال: حديث حسن صحيح اهـ ترغيب.

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة – وزاد ابن حبان فى صحيحه: وقال: «فإن كلفتوهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله فإنهم خلق أمثالكم» اهـ ترغيب.

(٥) روى الطبرانى نحوه من حديث زيد بن حارثة وفى سنده عاصم بن عبد الله وصحح له الترمذى والحاكم ولا يضر فى المتابعات، قاله المنذرى فى الترغيب وله شاهد من حديث على عند أبى داود، وعن أم سلمة عند ابن ماجه بسند ضعيف، ومن حديث كعب بن مالك عند الطبرانى من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وقد وثقاه ولا بأس بهما فى المتابعات.

فصل، ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده أو بينه وبين أخيه لما جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[1] وقال على كرم الله وجهه: وهب لى رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعت أحدهما فقال رسول الله ﷺ: «رده» وفى الحديث: «للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف» ويقول رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته»[2] ومن ذلك من يضرب الدابة ضربًا وجيعًا أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها أو يحملها فوق طاقتها فقد روى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (الأنعام: ٣٨) قيل: يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم حتى إنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وحتى يقاد للذرة من الذرة ثم يقال لهم: كونوا ترابا فهنالك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: ٤٠) وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بنى آدم حتى إن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوَّعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عذبت امرأة فى هرة ربطتها حتى ماتت جوعًا لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» أى من حشراتها.

وفى الصحيحين أنه ﷺ: رأى امرأة معلَّقة فى النار والهرة تخدشها فى وجهها وصدرها وهى تعذبها كما عذبتها فى الدنيا بالحبس والجوع وهذا عام فى سائر الحيوان، كذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لذلك إنما خلقنا للحرث»[3] فهذه بقرة أنطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذَى ولا تُستعمل فى غير ما خلقت له فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه.

قال أبو سليمان الدارقطنى: ركبت مرة حمارًا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه ونظر إلىَّ وقال: يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر، قال: فقلت: لا أضرب شيئًا بعده أبدًا، ومر ابن عمر بصبيان من

---

(١) رواه الترمذى من حديث أبى أيوب وقال: حديث غريب والدارقطنى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو... اهـ ترغيب.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما... اهـ ترغيب.

قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا[١] والغرض كالهدف وما يرمى إليه، ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم يعنى أن تحبس للقتل وإن كان مما أذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور قتله بأول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[٢].

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إنى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانا بالنار وإن النار لا يعذِّب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوهما»[٣].

قال ابن مسعود كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[٤] معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تزقزق فجاء النبى ﷺ وقال: «من فجع هذه بولدها؟ رودوا عليها ولديها»، ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل - أي مكان النمل - قد أحرقناها فقال: «من حرق هذا»؟ قلنا نحن، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا ربها» وفيه من النهى عن القتل بالنار حتى فى القملة والبرغوث وغيرهما.

فصل، ويكره قتل الحيوان عبثا لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «من قتل عصفورًا عبثا عج إلى الله يوم القيامة وقال: يا رب سل هذا لم قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة»[٥].

---

(١) رواه مسلم من حديث ابن عمر... اهـ ترغيب.

(٢) رواه مسلم والترمذى فى جامعه من حديث شداد بن أوس وقال: حديث حسن صحيح، كذا فى الأطراف للمزي وقال في المنتقى: رواه أحمد ومسلم والنسائي.

(٣) صحيح البخارى من حديث أبى هريرة ويفيد كلام العسقلانى فى الفتح أنه فى الترمذى وأبو داود، والرجلان المكنى عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الأسود ورفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ وقت هجرتها من مكة بعد غزوة بدر فسقطت عن راحلتها ومرضت والقصة المشهورة فى ابن إسحاق أفاده العسقلانى فى شرح الحديث من كتاب الجهاد من الفتح أي فتح البارى. انظر سيرة ابن إسحاق من تحقيقنا ط/ أخبار اليوم.

(٤) رواه أبو داود فى سننه من حديث عبد الله، أى ابن مسعود، والحمرة طائر صغير كالعصفور.

(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ويكره ذبح الطير أمام فراخه لما روى ذلك فى الأثر ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه لما روى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: ذبح رجل عجلاً بين يدى أمه فأيبس الله يده.

فصل: فى فضل عتق المملوك، عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضوا منه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه» أخرجه البخارى.

وعن أبى أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ: «أيما امرئ مسلم أعتق مسلمًا كان فكاكًا له من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم عتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكا له من النار يجزى كل عضوين منهما عضوا منه وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة إلا كانت فكاكا من النار يجزى كل عضو منها عضوًا منها» رواه الترمذى وصححه.

٥٢- الكبيرة الثانية والخمسون (أذى الجار)

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل من يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه»[١] أى غوائله وشروره وفى رواية: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[٢].

وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال: «أن تجعل الله نداً وهو خلقك وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وأن تزنى بحليلة جارك»[٣] وفى الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[٤] والجيران ثلاثة: جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والجار الكافر له حق الجوار.

وكان ابن عمر[٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا له جار يهودى فكان إذا ذبح الشاة يقول: احملوا إلى

---

(١) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه من حديث الشريد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) من حديث أبى هريرة وكذا أحمد وزاد قالوا: يا رسول الله وما بوائقه؟ قال: «شره» اهـ ترغيب.

(٣) هى لمسلم من رواية أبى هريرة، والحليلة بفتح الحاء المهملة: هى الزوجة.

(٤) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة اهـ ترغيب وبقيته فى إكرام الضيف والسكوت إلا عن خير اهـ منه.

(٥) رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح وقال فى آخره: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» قال المنذرى: وقد روى هذا المتن - يعنى المرفوع - من طرق كثيرة وعن جماعة كثيرة من الصحابة... اهـ ترغيب.

جارنا اليهودي منها، وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة ويقول: يا رب سل هذا لم منعني معروفه وأغلق عنى بابه[1].

وينبغي للجار أن يحتمل أذى الجار فهو من جملة الإحسان إليه. جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملت به دخلت الجنة، فقال: «كن محسنًا» فقال: يا رسول الله كيف أعلم أنى محسن؟ قال: «سل جيرانك فإن قالوا: إنك محسن فأنت محسن وإن قالوا: إنك مسىء فأنت مسىء» ذكره البيهقى من رواية أبى هريرة، وجاء عن النبى ﷺ أنه قال «من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه»[2] وقيل لأن يزنى الرجل بعشرة نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره، وفى سنن أبى داود عن رواية أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له: «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين أو ثلاثا ثم قال: «اذهب فاطرح متاعك على الطريق» ففعل، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنون جاره ويقولون: فعل الله به وفعل يدعون عليه فجاء إليه جاره وقال: يا أخى ارجع إلى منزلك فإنك لن ترى ما تكره أبدًا[3].

وأن يحتمل أذى جاره وإن كان ذميًّا فقد روى عن سهل بن عبد الله التُّسْتُرى رحمه الله أنه كان له جار ذمى وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت فى دار سهل بثق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذا الحال زمنًا طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة فاستدعى جاره المجوسى وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة فقال:

---

(١) رواه المنذرى فى الترغيب من حديث ابن عمرو وأشار إلى ضعفه.

(٢) رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو ابن العاص وبقيته: «أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته وإذا استقرضك أقرضته وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف منها وإن اشتريت فاكهة فاهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده» قال المنذرى: ولعل قوله: «أتدرى ما حق الجار» إلخ من كلام الراوى غير مرفوع، والحديث على كلٍّ أشار المنذرى إلى ضعفه بقوله فى أوله: «وروى» وهى إحدى علامات الضعف عنده وسكت عليه فى آخره وهى العلامة الثانية للضعيف الشامل للوضع.

(٣) رواه مسلم والترمذى فى حديث لأبى هريرة... اهـ ترغيب.

ما هذا الذى أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ولولا أنه حضرنى أجلى وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك وإلا لما أخبرتك فافعل ما ترى، فقال المجوسى: أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم مات سهل رحمه الله.

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال وأن يحسن عاقبتنا إنه كريم رؤوف رحيم.

٥٣- الكبيرة الثالثة والخمسون «أذى المسلمين وشتمهم»

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات:١١) وقال تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢) وقال ﷺ: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس - أى تركه الناس - اتقاء فحشه»[١] وقال ﷺ : «عباد الله .. إن الله وضع الحرج إلا من المقترض بعرض أخيه فذلك الذى حرج أو هلك».

وفى الحديث: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه»[٣] وفيه أيضًا: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله إن فلانة تصلي بالليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها، فقال: «لا خير فيها هى فى النار» صححه الحاكم[٥] وفى الحديث أيضًا: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم»[٦]

---

(١) رواه أحمد ورواته ثقات والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث المقداد بن الأسود... اهـ ترغيب.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة.

(٣) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة اهـ ترغيب.

(٤) متفق عليه من حديث ابن مسعود قاله العراقى فى تخريج الإحياء.

(٥) وابن حبان وأحمد والبزار.

(٦) صححه الحاكم قاله المصنف فى رسالته الصغرى.

وقال رسول الله ﷺ: «من دعا رجلا بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»[1] وقال عليه الصلاة والسلام: «مررت ليلة أسرى بى بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[2].

فصل: فى الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب

صح عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم» فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس كما قال النبى ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال شراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت»[3] والعنت: المشقة، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة نمام»[4] والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس أو بين اثنين بما يؤذى أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له: قال عنك فلان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا، إلا أن يكون فى ذلك مصلحة أو فائدة كتحذيره من شر يحدث، أو يترتب.

وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرها فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك هو عاص لله ورسوله، ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها والعبد على سيده، لما روى أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبدًا على سيده»[5] نعوذ بالله من ذلك.

فصل: فى الترغيب فى الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى حديث لأبى ذر ومعنى «حار» رجع... اهـ ترغيب.

(٢) رواه أبو داود من حديث أنس وذكر أن بعضهم رواه مرسلاً... آهـ ترغيب، وقال العراقى: والمسند أصح... اهـ من تخريج الإحياء.

(٣) رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم وفى سنده شهر بن حوشب فيه كلام معروف وبقية رجاله محتج بهم فى الصحيح... اهـ ترغيب.

(٤) متفق عليه من حديث حذيفة... اهـ عراقى.

(٥) رواه أبو داود بلفظ «ليس منا من خبب» إلخ من حديث أبى هريرة والنسائى وابن حبان وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبزار وابن حبان من حديث جابر عند مسلم، ومعنى خبب: خدع وأفسد اهـ.

معـرُوف أَوْ إصـلاحٍ بَيْـنَ النَّاسِ وَمَـن يَفْعَلْ ذَلكَ ابْتغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّه فَسَوْفَ نُؤْتِيه أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

قال مجاهد: هذه الآية عامة بين الناس يريد أن لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير وهو قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ثم حذف المضاف ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال ابن عباس: بصلة الرحم وبطاعة الله، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ هذا ما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبى أيوب الأنصارى: «ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حُمر النعم» قال: بلى يا رسول الله قال: «أن تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرِّب بينهم إذا تباعدوا»(١) وروت أم حبيبة ﵂ أن النبى ﷺ قال: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله»(٢).

وروى أن رجلاً قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث قال سفيان: ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ الآية: فهذا بعينه.

ثم اعلم الله سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أى ثوابًا لا حد له.

وفى الحديث: «ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرًا أو يقول خيرا» رواه البخارى، وقالت أم كلثوم(٣): ولم أسمعه ﷺ يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا في ثلاثة أشياء: فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها، وعن سهل بن سعد ﵁ أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه من أصحابه، رواه البخارى.

وعن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل شىء أفضل من

---

(١) رواه البزار والطبرانى من حديث أنس وأشار المنذرى فى الترغيب إلى ضعفه إذ صدَّره بلفظ: «رُوى» وسكت عليه فى آخره وذلك علامة الضعف عنده.

(٢) رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والترمذى وقال: غريب لا يعرف إلا من حديث محمد بن يزيد بن حنيش قال المنذرى: ورواته ثقات وفى محمد بن يزيد كلام قريب وهو لا يقدح وهو شيخ صالح اهـ ترغيب.

(٣) رواه مسلم من حديثها قاله العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء.

مشى إلى الصلاة أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين»[1] وقال رسول الله ﷺ: «من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة عتق رقبة ورجع مغفورًا له ما تقدم من ذنبه»[2] وبالله التوفيق.

اللهم عاملنا بلطفك، وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين.

٥٤- الكبيرة الرابعة والخمسون

(أذى عباد الله والتطاول عليهم)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ **(الأحزاب: ٥٨)** وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **(الشعراء: ٢١٥)** وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لى وليّا فقد آذنته بالحرب»[3] وفى رواية: «فقد بارزنى بالمحاربة» أى أعلمته أنى محارب له، وفى الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت الله» فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا إخوتاه أأغضبتكم؟ قالوا: لا.. يغفر الله لك يا أخى وقوله: مأخذها أى لم تستوف حقها منه.

فصل: فى قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ **(الكهف: ٢٨)** الآيات، وهذه الآيات فى تفضيل الفقراء وسبب نزولها أن النبى ﷺ أول من آمن به الفقراء، وكذلك كل نبى أرسل أول من آمن به من الفقراء فكان رسول الله ﷺ يجلس مع الفقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار ابن ياسر رضي الله عنهم، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا يا محمد اطرد الفقراء عنك فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم فلو طردتهم عنك لآمن

(١) رواه الإصبهانى وأشار المنذرى فى ترغيبه إلى ضعفه.

(٢) رواه الإصبهانى من حديث أنس وهو غريب جدا قاله المنذرى.

(٣) رواه البخارى.

بك أشرف الناس ورؤساؤهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٢٨) أى لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلبا لصحبة أبناء الدنيا، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩) ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ﴾ (الكهف: ٣٢) و﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٥) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم.

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صُفَة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصُّفَّة، فكان ينتمى إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا ، هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان بل قالوا: إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح وفى ميدان ودك نرتفع ونسرح ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبدًا لا نبرح، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ﴾ (الأنعام: ٥٢) الآية أى ولا تَرُدَّ قومًا أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون، لا تطرد قوما المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس إدامهم والفقر والفاقة شعارهم والمسكنة والحياء دثارهم، ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم فالفقر عام وخاص فالعام: الحاجة إلى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (فاطر: ١٥) الآية والخاص: وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها اشتغالاً بالله عز وجل وشوقًا إليه وأنسًا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل.

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك وأن تسلك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين.

٥٥- الكبيرة الخامسة والخمسون

«إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززاً وعجباً وفخراً وخيلاء»

قال الله تعالى: ﴿ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

وقال النبى ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو فى النار»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «لا ينظر الله من جر إزاره بطرا»(٢).

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»(٣).

وفى الحديث أيضًا: «بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

وقال ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»(٤)

وقال ﷺ: «الإسبال فى الإزار والعمامة، من جر شيئًا منها خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»(٥).

وقال ﷺ: «إزارة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار»(٦).

هذا عام فى السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس، فنسأل الله العافية. وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بينما رجل يصلى مسبلا إزاره قال له رسول الله ﷺ: «اذهب فتوضأ» ثم جاء فقال: «اذهب فتوضأ» فقال له رجل:

---

(١) تقدم أنه رواه مالك والبخارى ومسلم، والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر.

(٢) رواه البخارى من حديث أبى هريرة... أهـ ترغيب.

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» وله شاهد فى حديث أبى سعيد الخدرى عند مالك والنسائي وأبو داود وابن ماجه وابن حبان ومن حديث أبى هريرة عند مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه، قاله فى الترغيب.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبى ذر الغفارى رضي الله عنه، والمسبل يطول ثوبه يرسله إلى الأرض كأنه يفعله تجبرا وخيلاء... اهـ ترغيب.

(٥) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمرو وفى سنده عبد العزيز بن أبى رواد والجمهور على توثيقه... اهـ ترغيب.

(٦) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وشاهده من حديث أنس عند أحمد ورواته رواة الصحيح قاله المنذرى فى الترغيب.

يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه؟ فقال: «إنه يصلى وهو مسبل إزاره ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلا إزاره»[١].

ولما قال ﷺ: «من يجر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٢] قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ: «إنك لست ممن يفعله خيلاء».

٥٦- الكبيرة السادسة والخمسون

(لبس الحرير والذهب للرجال)

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة»[٣] وهذا عام فى الجند وغيرهم لقوله ﷺ «حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتى»[٤].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليها. أخرجه البخارى.

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو، وأما لبس الحرير للزينة فى حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين سواء أكان قباءً أو قبطيا أو كلوثة، وكذلك إذا كان الأكثر حريرًا كان حرامًا، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال سواء أكان خاتمًا أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله، وقد رأى النبى ﷺ فى يد رجل خاتمًا من ذهب فنزعه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده»[٥] وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزرقش حرام على الرجال، واختلف العلماء فى جواز لبس الصبى الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم

---

(١) رواه أبو داود وفى سنده أبو جعفر المدنى قال المنذري: إن كان محمد بن الحسن فروايته عن أبى هريرة مرسلة وإن كان غيره فلا أعرفه... اهـ ترغيب.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى قاله المنذري.

(٣) وكذا الترمذى والنسائى كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... اهـ ترغيب.

(٤) رواه أبو داود والنسائى من حديث على رضي الله عنه بنحوه.

(٥) رواه مسلم من حديث ابن عباس.

قوله ﷺ عن الحرير والذهب: «هذان حرام على ذكور أمتى حل لإناثهم»[1] فدخل الصبى فى النهى وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله تعالى، فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

٥٧- الكبيرة السابعة والخمسون

«إباق العبد»

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة»[2] وقال ﷺ: «أيما عبد أبق برئت منه الذمة»[3]، وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو»[4] وعن فضالة بن عبيد مرفوعًا: «ثلاثة لا يسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه وعبد آبق ومات عاصيا، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده»[5] أى أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ[6]، وكذا ذكره الواحدى رحمه الله.

٥٨- الكبيرة الثامنة والخمسون

(الذبح لغير الله عز وجل)

مثل أن يقول: باسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (الأنعام: ١٢١) قال ابن عباس يريد الميتة

---

(١) تقدم من حديث على عند أبى داود والنسائى.

(٢) من حديث جرير رضي الله عنه كما فى الترغيب.

(٣) رواه مسلم من حديث جرير أيضًا.

(٤) بسند فيه زهير بن محمد فيه كلام هين ورواه الطبرانى فى الأوسط رواية عن عبد الله بن محمد بن عقيل، أفاده المنذرى.

(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ: «فخانته بعده» بدل «تبرجت» وكذا الطبرانى والحاكم ولفظ الحاكم: «تبرجت» وعنده: «وأمة أو آبق من سيده» اهـ ترغيب.

(٦) المؤلف رحمه الله لم ير فى عصره نساء متبرجات ولذلك قال ما قال؛ لأن النساء فى العصور الأولى للإسلام لم يخرجن متبرجات التزامًا بأمر الله ورسوله أما الآن فهناك من نساء وبنات المسلمين من يخرجن متعطرات ويظهرن عوراتهن، نسأل الله لنا ولهن الهداية.

والمنخنقة إلى قوله : ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ (المائدة: ٣)، وقال الكلبى: ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى، وقال عطاء: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ (الأنعام: ١٢١) يعنى وأن كل ما لم يذكر اسم الله من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (الأنعام: ١٢١) أي يوسوس الشيطان لوليه فيلقى فى قلبه الجدال بالباطل وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة، قال ابن عباس: أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس:كيف لا تأكلون شيئًا قد قتله الله وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ (الأنعام: ١٢١) يعنى فى استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١) قال الزجاج: وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئًا مما حرم الله وحرم شيئًا مما أحل الله فهو مشرك.

فإن قيل: كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص فى التحريم؟ قلت: إن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه فى هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية، وفي الآية أشياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة ومنها قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك التسمية.

ومنها قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ والمناظرة إنما كانت فى الميتة بإجماع من المفسرين لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ومنها قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ والشرك فى استحلال الميتة لا فى استحلال الذبيحة التى لا يذكر اسم الله عليها.

وقد أخبرنا أبو منصور بإسناده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله تعالى؟ فقال النبى ﷺ: «اسم الله على فم كل مسلم»[1].

وأخبرنا أبو منصور أيضًا بإسناده عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «يكفيه اسمه وإن نسى يسمى حين يذبح فليسم ويذكر اسم الله ثم ليأكل»[2].

وأخبرنا عمرو بن أبى العاص بإسناده عن عائشة رضي الله عنها أن قومًا قالوا:

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفارى وهو متروك اهـ مجمع الزوائد.

(٢) رواه الدارقطنى وفيه راو سيئ الحفظ وهو محمد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح إلى ابن عباس موقوفا عليه من كلامه اهـ من بلوغ المرام وشرح سبل السلام.

يا رسول الله. إن قومًا يأتون باللحم لا ندرى أذُكر اسم الله عليه أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «سموا عليه وكلوا»[1] هذا آخر كلام الواحدى رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله».

٥٩- الكبيرة التاسعة والخمسون

«فيمن ادعى غير أبيه وهو يعلم»

عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه هو يعلم أنه غير أبيه فالجنة حرام عليه» رواه البخارى.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر، رواه البخارى، وفيه أيضًا: «من ادعى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله» وعن زيد بن شريك[2] قال: رأيت عليا رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول: والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله تعالى وما فى هذه الصحيفة، فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل وشىء من الجراحات وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرام ما بين عير إلى ثور (جبلان) فمن أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفًا ولا عدلاً ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك وذمة المسلمين واحدة» رواه البخارى، وعن أبى ذر أنه سمع النبى ﷺ يقول: «ليس منا رجلا ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أى رجع عليه، رواه مسلم، فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

٦٠- الكبيرة الستون

«الجدل والمراء واللدد»

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥) ومما يذم من الألفاظ: المراء والجدال والخصومة.

---

(١) رواه مالك والبخارى رحمهما الله كما فى بلوغ المرام للحافظ ابن حجر وشرحه سبل السلام للصنعانى رحمه الله تعالى (انظره من تحقيقنا).

(٢) كذا فيما وقع لنا من الأصول وهو خطأ وصوابه «يزيد» وهو والد إبراهيم التيمى.

قال الإمام «حجة الإسلام» الغزالى رحمه الله: المراء طعنك فى كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه، وقال: وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها قال: وأما الخصومة فلجاج فى الكلام ليستوفى به مقصودًا من مال أو غيره، وتارة يكون ابتداءً، وتارة يكون اعتراضًا، والمراء لا يكون أعتراضا، هذا كلام الغزالى.

وقال النووى رحمه الله: اعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ **(العنكبوت: ٤٦)** وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ **(النحل: ١٢٥)** وقال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **(غافر: ٤)** قال: فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا وإن كان فى مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه، والمجادلة والجدال بمعنى واحد قال بعضهم: ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة.

فإن قلت: لابد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه، فالجواب: ما أجاب به الغزالى رحمه الله: اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضى فإنه يتوكل فى الخصومة قبل أن يعرف الحق فى أى جانب فيخاصم بغير علم.

ويدخل فى الذم أيضًا من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل ويظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسلط على خصمه، كذلك خلط بالخصومة كلمات تؤذى وليس إليها حاجة فى تحصيل حقه، كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره، فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء ففعل هذا ليس حرامًا ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا لأن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه على عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى إنه يكون فى صلاته وخاطره متعلقا بالمحاجة والخصومة فلا تبقى

حاله على الاستقامة، والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغى للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لابد منها.

وروينا في كتاب الترمذى عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول ﷺ: «كفى بك إثما أن تزال مخاصمًا»(١).

وجاء عن على ﵁ قال: إن الخصومة لها قُحم قلت: القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة هى المهالك.

فصل: عن أبى هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط حتى ينزع»(٢).

وعن أبى أمامة ﵁ عن النبى ﷺ قال: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال»(٣) ثم تلا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾ (الزخرف: ٥٨) الآية.

وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق فى القرآن ودنيا تقطع أعناقكم» رواه ابن عمر(٤).

وقال النبى ﷺ: «المراء فى القرآن كفر»(٥).

فصل: يكره التقعيير فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع بالفصاحة وبالمقدمات التى يعتادها المتفاصحون فكل ذلك من التكلف المذموم بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته النظم الجلى ولا يثقله.

روينا فى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة» قال الترمذى: حديث حسن وروينا فيه أيضا عن جابر ﵁ أن

---

(١) وقال: حديث غريب... اهـ ترغيب.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والأصبهانى فى الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور، قاله العراقى فى تخريجه.

(٣) رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وصححه، قاله العراقى فى تخريج الإحياء وجعله فى الترغيب من مسند أبى هريرة وعزاه الترمذى إلى ابن أبى الدنيا فى الصمت.

(٤) رواه يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف فى الصغرى معلقه بلفظ «يروى» له شاهد من حديث معاذ عند الطبرانى في الأوسط فيها انقطاع، أفاده فى مجمع الزوائد.

(٥) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة ورواه الطبرانى وغيره من حديث زيد ابن ثابت اهـ ترغيب.

رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» قال الترمذى: حديث حسن، قال والثرثار هو كثير الكلام والمتشدق من يتطاول على الناس فى الكلام ويبذو عليهم.

واعلم أنه لا يدخل فى الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب إلا أن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر والله أعلم.

٦١- الكبيرة الحادية والستون

«منع فضل الماء»

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (الملك: ٣٠) وقال النبى ﷺ: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعو به الكلأ»(١).

وقال ﷺ: «من منع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا للدنيا فإن أعطاه منها وفَّى له وإن لم يعطه لم يف له ورجل باع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك» أخرجاه فى الصحيحين، وزاد البخارى: «ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك».

٦٢- الكبيرة الثانية والستون

«نقص الكيل والذراع والميزان وما أشبه ذلك»

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١) يعنى الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن، وقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة فى منتقى الأخبار، انظر نيل الأوطار من تحقيقنا.

(٢) رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده... اهـ منتقى.

يستوفون﴾ (المطففين: ٢) يعنى يستوفون حقوقهم منهم قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر - إذا اتزنوا- لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ (المطففين: ٣) أى ينقصون فى الكيل والوزن وقال السدى: لما قدم رسول الله ﷺ لمدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس» قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون - يعنى كثرة الموت - ولا طففوا الكيل وإلا منعوا النبات وأُخذوا بالسنين (القحط)، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر» ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ (المطففين: ٤) قال الزجاج: المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن ﴿ ليوم عظيم﴾ (المطففين: ٥) أى يوم القيامة ﴿يوم يقوم الناس﴾ (المطففين: ٦) من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ (المطففين: ٦) أى لأمره ولجزائه وحسابه، وقيل يقومون بين يديه لفصل القضاء، وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جار لى وقد نزل به الموت وهو يقول: جبلين من نار، جبلين من نار، جبلين من نار، قال قلت: ما تقول؟ قال: يا أبا يحيى كان لى مكيالان أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر، وقال مالك ابن دينار: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظما وشدة فمات فى مرضه.

والمطفف هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففا لأنه لا يكاد يسرق إلا للشىء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل: واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وقال بعض السلف أشهد على كل كيال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله، وقال بعضهم: دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له: يا أخى ما لى ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها، فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصًا؟ قال: لا والله ولكن ما كنت

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد قاله المنذرى وشواهده من حديث ابن عمر عند البزار وبريدة عند النسائى والبيهقى.

أقف مدة لأختبر صحة ميزانى فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصًا؟.

وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق يلجمهم إلى أنصاف آذانهم وكذا التاجر إذا شد يده فى الذراع وقت البيع وأرخى وقت الشراء، وكان بعض السلف يقول: ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة ينقص جنة عرضها السماوات والأرض وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة، فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم.

٦٣- الكبيرة الثالثة والستون

«الأمن من مكر الله»

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ **(الأنعام:٤٤)** أى أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن: من وسَّع الله عليه فلم يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ وقال: مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجاتهم ثم أُخذوا.

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:[1] «إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصية فإنما ذلك منه استدراج ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ **(الأنعام: ٤٤)** الإبلاس: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة وقال ابن عباس: أيسوا من كل خير، وقال الزجاج: المبلس الشديد الحسرة البائس الحزين.

وفى الأثر أنه لما مكر بإبليس وكان من الملائكة طفق جبريل وميكال يبكيان فقال الله عز وجل لهما: ما لكما تبكيان؟ قالا: يارب ما نأمن مكرك، فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكرى وكان النبى ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلِّب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[2] فقيل له: يا رسول الله، أتخاف

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف اهـ مجمع الزوائد.

(٢) رواه الترمذى فى جامعه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: حديث حسن صحيح وفى الباب عن النواس بن سعمان وأم سلمة -رضى الله عنها وعائشة وأبى ذر رضى الله عنهم.

علينا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء».

وفى الحديث الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[1] وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم».

وقد قص الله تعالى فى كتابه العزيز قصة بلعام وأنه سُلب الإيمان بعد العلم والمعرفة وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر، وروى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقى يومًا المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ فقال أنت أريد، قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك قالت له: أنت مسلم وأبي لاَ يزوجنى بك قال: أتنصر، قالت له: إن فعلت أفعل فتنصر ليتزوج بها وأقام معهم فى الدار فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط فمات فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها. نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة. وعن سالم عن عبد الله قال: كان كثيرًا ما كان رسول الله ﷺ يحلف: «لا ومقلِّب القلوب» رواه البخارى، ومعناه يصرِّفها أسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكراهية وغير ذلك من الأوصاف، وفى التنزيل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤) قال مجاهد: المعنى يحول المرء وعقله حتى لا يدرى ما تصنع بنانه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق: ٣٧) أى عقل واختار الطبرى أن يحول بينهم وبينها إن شاء حتى لا يدرك الإنسان شيئًا إلا بمشيئة الله عز وجل، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلِّب القلوب ثبت قلبى على طاعتك» فقلت: يا رسول الله إنك تكثر بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال: «وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه» فإذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة

(١) أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ولعله فى مسلم أيضًا.

والعاقبة مغيبة والإرادة غير مغالية فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وبصومك وجميع قربك ذلك إن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله فى هذه الدار عليك فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرًا بمتاع غيرك وبما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير من جوف العير(١).

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، أضحت وزهرها يابس هشيم، إذا هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم ويصبح بمعصية الله مظلم سقيم، ذلك تقدير العزيز العليم.

ابن آدم .. دع المغانى والأوتار والمنازل والديار والتنافس فى هذه الدار، حتى ترى ما فعلت فى أمرك الأقدار، قال الربيع: سئل الإمام الشافعى رحمه الله تعالى(٢).

٦٤- الكبيرة الرابعة والستون

«أذية أولياء الله ومعاداتهم»

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨) وقال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥) وأخرج البخارى، عن أنس وأبى هريرة ﷺ، أنه ﷺ قال عن الله تبارك وتعالى: (من أهان لى وليا، فقد بارزنى بالمحاربة، وما ترددت فى شىء أنا فاعله، ما ترددت فى قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولابد له منه وما تقرب إلى عبدى المؤمن بمثل الزهد فى الدنيا، ولا تعبد لى بمثل ما افترضته عليه) وفى رواية له قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى قال: من عادى لى وليا، فقد آذنته بالحرب (أى: أعلمته أنى محارب له) وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء، أحبَّ إلىَّ من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر

(١) العير بفتح العين: الحمار.

(٢) فى الأصول المعروفة للكتاب نقص فى آخر الكبيرة الثالثة والستين وفى أول الكبيرة الرابعة والستين، وسيبقى هذا النقص حتى تظهر نسخة ليس فيها هذا النقص فيكمل، مع العلم بأننا راجعنا هذا النص على عدة نسخ خطية فلم نجده. وأثبتنا الكبيرة الرابعة والستين من إحدى النسخ نقلاً من الزواجر للإمام/ ابن حجر الهيتمى لتعم الفائدة ويزيد النفع.

به، ويده التى يبطش بهـا، ورجله التى يمشى بهـا، وإن سـألنى أعطيتـه، وإن استعاذنى (بالنون أو بالياء) لأعيذنه.

وفى الحديث الصحيح أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال ﷺ فى نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها (أى لم تستوف حقها منه، لأنه إذ ذاك كان على كفره) فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره، فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم (لقد أغضبت ربك) فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا يغفر الله لك يا أخى.

ومن عظيم احترام الفقراء - سيما فقراء الصحابة - الذين استبقوا إلى الإيمان قوله تعالى لنبيه ﷺ - لما عذله المشركون فى الجلوس معهم وقالوا: اطردهم، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم، ولئن طردتهم، ليؤمنن بك أشراف الناس وزؤساؤهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ **(الأنعام:٥٢)** فلما أيس المشركون من طردهم، سألوا النبى ﷺ، أن يجعل لهم يومًا، ولهم يومًا فأنزل الله تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ **(الكهف: ٢٨)** أى: لا تتعداهم، ولا تتجاوزهم بنظرك، رغبة عنهم، وطلبا لصحبة أبناء الدنيا ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ **(الكهف: ٢٩)** ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله - عز قائلاً ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ﴾ **(الكهف: ٣٢)** إلى قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ **(الكهف: ٤٥)** كل ذلك تقرير لفخامتهم وحث على تعظيمهم ورعايتهم ومن ثم كان ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم، سيما أهل الصفة. (وهم فقراء المهاجرين معه ﷺ) كانوا فى صفة المسجد ملازمين لها، ينضم إليهم كل من هاجر إلى أن كثروا، وكانوا على غاية من الفقر والصبر لكن حملهم على ذلك، شهودهم ما أعد الله تعالى لأوليائه، لما أزال عن قلوبهم التعلق بشىء من الأغيار وحثهم على الاستباق إلى الخيرات، وحيازة أفضل الأحوال والمقامات فحينئذ استحقوا ألا يُطردوا عن بابه، وأن يعلن بمدحهم بين أحبابه، لما أن المساجد مأواهم، والله مطلوبهم ومولاهم، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس - إدامهم، والفقر والفاقة شعارهم، والمسكنة والحياء دثارهم، فقرهم ليس من الفقر العام الذى هو مطلق الحاجة إلى الله، لأن هذا وصف كل مخلوق وهو المراد بقوله تعالى ﴿يا أيها

النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (فاطر: ١٥) بل هو من الفقر الخاص الذى هو شعار أولياء الله تعالى وأحبائه، وهو خلو القلب من التعلق «بغير» أو «سوى» والتملى بشهوده تعالى فى سائر الحركات والسكنات.

حشرنا الله فى زمرتهم، لما منَّ علينا من حقائق محبتهم، آمين.

(تنبيه) عد هذه كبيرة، هو ما صرح به بعضهم، وهو صريح هذا الوعيد الذى لا أشد منه إذ محاربة الله للعبد، لم تذكر إلا فى أكل الربا ومعاداة الأولياء ومن عاداه الله لا يفلح أبدًا بل لابد - والعياذ بالله تعالى - من أن يموت على الكفر. عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه. ثم رأيت الزركشى فى (الخادم) أشار إلى ذلك حيث قال: وتأمل هذا الوعيد، وهو - حينئذ - وأكل الربا فى قرن ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٧٩) وفى فتاوى البديعى، من الحنفية «من استخف بالعالم، طلقت امرأته، وكأنه جعله ردة» انتهى وقال بعض الأئمة - يعنى الحافظ ابن عساكر: اعلم يا أخى، وفقك الله وإيانا، وهداك سبيل الخير وهدانا، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله فى هتك منقصتهم معلومة، ومن أطلق لسانه فى العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

ينادى مناد من قبل العرش أين فلان أين فلان؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه قال فيقول الله عز وجل لذلك الشخص: أنت المطلوب هلمَّ إلى العرض على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين أيدى الله عز وجل، فيلقى الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له: عبدى أما علمت أنى أشاهد عملك فى دار الدنيا فيقول: بلى يا رب فيقول الله تعالى عبدى ... أما سمعت بنقمتى وعذابي لمن عصانى؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى: يا عبدى عصيتنى فيقول: يا رب قد كان ذلك، فيقول الله تعالى: عبدى .. فما ظنك اليوم بى؟ فيقول يا رب أن تعفوَ عنى فيقول الله تعالى: عبدى تحققت أنى أعفُو عنك؟ فيقول: نعم يا رب لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها علىَّ، قال فيقول الله عز وجل قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها وما كان فيه من سيئة غفرتها لك وأنا الجواد الكريم.

إلهنا.. لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان، ولولا عفوك وكرمك ما أسكنت أحدا الجنان.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم انظر إلينا نظر الرضا وأثبتنا فى ديوان أهل الصفا ونجنا من ديوان أهل الجفا.

اللهم حقق بالرجاء أملنا، وأحسن فى جميع الأحوال أعمالنا، وسهّل فى بلوغ رضاك سبلنا، وخذ إلى الخيرات بنواصينا وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

٦٥- الكبيرة الخامسة والستون

«تارك الجماعة فيصلى وحده من غير عذر»

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة «لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم» رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» رواه مسلم[١].

وقال ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» أخرجه أبو داود والنسائى[٢] وقال: «من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقًا فى ديوان لا يمحى ولا يبدَّل».

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «رواح الجمعة واجب على كل محتلم»[٣] أى على كل بالغ.

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

---

(١) من حديث أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم وكذا رواه ابن ماجه من حديثهما كما فى الترغيب والترهيب.

(٢) والترمذى وحسنه ابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال: على شرط مسلم كلهم من حديث أبى الجعد الضمرى وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبى قتادة عند أحمد والحاكم ومن حديث أبى أسامة عند ابن حبان ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضًا ومن حديث أبى هريرة عند ابن ماجه ومن حديث جابر عند أبى يعلى ومن كلام ابن عباس عنده أيضًا ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد أفاده فى الترغيب والترهيب وقال المصنف فى الصغرى: إسناده جيد قوى.

(٣) حديث حفصة رواه النسائى قاله المصنف فى الصغرى.

٦٦- الكبيرة السادسة والستون

«الإصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر»

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم: ٤٢، ٤٣) قال كعب الأحبار: ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلفون عن الجماعات، وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله: كانوا يسمعون «حى على الصلاة: حى على الفلاح» فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء.

وفى الصحيحين[١] أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فى الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار» وفى رواية لمسلم أيضًا من حديث أبى هريرة: «لقد هممت أن آمر فتيتى أن يجمعوا حزما من حطب ثم آتى قومًا يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم» وفى هذا الحديث الصحيح والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر، فقد روى أبو داود فى سننه بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع المنادى فلم يمنعه من إتيانه عذر - قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التى صلى» يعنى فى بيته.

وروى الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقول الليل ولا يصلِّى فى جماعة ولا يجمع فقال: إن مات هذا فهو فى النار.

روى مسلم أن رجلا أعمى جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى؟ فرخص له فلما ولى دعاه فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة»؟ قال: نعم: قال: «فأجب» وفى رواية أبى داود أن ابن أم مكتوم جاء النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لى رخصة أن أصلىَ فى بيتى؟ فقال: له النبى ﷺ: «تسمع : حى على الصلاة، حى على الفلاح»؟ قال : نعم قال:«فأجب،

---

(١) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

فحى هلا» وفى رواية أنه قال يا رسول الله إنى ضرير شاسع الدار ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة؟ وقوله: «فحى هلا» أى تعال وأقبل.

وروى الحاكم فى مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له» قالوا: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «خوف أو مرض) وجاء عن النبى ﷺ أنه قال: «لعن الله ثلاثة: من تقدم قومًا وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع: حى على الصلاة، حى على الفلاح ثم لم يجب»[1] قال أبو هريرة لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير من أن يسمع «حى على الصلاة، حى على الفلاح» ثم لا يجيب، وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد، قيل من جار المسجد؟ قال من يسمع الأذان. وقال أيضا: من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنها من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف فى بيته عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، وقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف - يعنى يتكئ عليهما من ضعفه - حرصًا على فضلها وخوفا من الإثم فى تركها[2].

فصـــل: وفضل صلاة الجماعة عظيم كما فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ **(الأنبياء: ١٠٥)** أنهم، المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات وفى قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ **(يس: ١٢)** أى خطاهم.

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلِّى عليه ما دام فى

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس كما تقدم فى النهى عن ترك الصلاة.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما اهـ ترغيب.

مصلاه الذى يصلى فيه يقولون: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه»[١].

وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[٢] رواه مسلم.

٦٧- الكبيرة السابعة والستون

«الإضرار فى الوصية»

قال الله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ (النساء: ١٢).

أى غير مدخل الضرر على الورثة وهو أن يوصى بدين عليه «أى غير حقيقى» يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه: ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٢).

قال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه فى الميراث ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (النساء: ١٣) فى شأن المواريث ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (النساء: ١٣، ١٤) قال مجاهد: فيما فرض الله من المواريث.

وقال عكرمة عن ابن عباس: من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ (النساء: ١٤).

وقال الكلبى: يعنى يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدى حدوده استحلالا ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء: ١٤) وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارا فى الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ (النساء: ١٢) رواه أبو دواود[٣].

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة بنحو ما هنا كما فى الترغيب.

(٢) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائى وابن ماجه كلهم من حديث أبى هريرة وشاهده من حديث أبى سعيد الخدرى عند ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه اهـ ترغيب.

(٣) رواه الترمذى وقال: حسن غريب، ورواه ابن ماجه، ولفظه: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة» اهـ ترغيب وترهيب.

وجـاء عنه ﷺ أنه قـال: «من فـر بميـراث وارث قطع الله ميـراثه من الجنة»(١).

وقال ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» صححه الترمذى(٢).

٦٨- الكبيرة الثامنة والستون

«المكر والخديعة»

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣).

وقال النبى ﷺ: «المكر والخديعة فى النار»(٣).

وقـال ﷺ: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان» وقـال تعالى عن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢) قال الواحدى: يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نورًا كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم وبقوا فى الظلمة.

وقال ﷺ فى حديث: «وأهل النار خمسة - وذكر منهم -: رجلاً لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك، ومالك»(٤).

٦٩- الكبيرة التاسعة والستون

«من جسَّ على المسلمين ودل على عوراتهم»

فيه حديث حاطب بن أبى بلتعة وأن عمر أراد قتله بما فعل فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدرا، وإذا ترتب على حبسه وهن على الإسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شىء من ذلك فهذا من سعى فى الأرض فسادًا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب، فنسأل الله العفو والعافية، وبالضرورة يدرى كل ذى حس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم.

---

(١) رواه ابن ماجه من حديث أنس وأشار المنذرى إلى ضعفه وقال المصنف فى الصغرى: فى سنده مقال.

(٢) من حديث عمرو بن خارجة، وفى سنده إسماعيل بن عياش، وفى روايته عن غير الشاميين ضعف.

(٣) رواه البزار من حديث أبى هريرة وفيه عبد الله بن أبى حميد أجمعوا على ضعفه اهـ مجمع الزوائد.

(٤) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى.

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية إنه لطيف خبير جواد كريم.

٧٠- الكبيرة السبعون

«سب أحد من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين»

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى[(١)]: «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب»[(٢)] وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» مخرج فى الصحيحين.

وقال: «الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله أوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذى[(٣)].

ففى هذا الحديث وأمثاله بيان من جعلهم غرضا بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم.

وقوله ﷺ: «الله الله» كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر النارَ النارَ، أى احذروا النار، وقوله: «لا تتخذوهم غرضا بعدى» أى لا تتخذوهم غرضا للسب والطعن كما يقال: اتخذ فلان غرضا لسبه أى هدفا للسب وقوله: «فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم» فهذا من أَجَلِّ الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال فمن أحبهم فإنما أحب النبى ﷺ، فحب أصحاب النبى ﷺ عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء فى الحديث الصحيح: «حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق» وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله ﷺ، وكذلك حب على رضي الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق وإنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم

---

(١) فى الحديث القدسى.

(٢) عزاه فى الصغرى إلى البخارى فقط وقال فى الميزان فى ترجمة خالد بن مخلد القطوانى: ولا خرجه من عدا البخارى ولا أظنه فى المسند، وأفرده الحافظ العسقلانى فى الفتح وعد من أخرجه أو أخرج شاهدًا له وليس فيهم مسلم، فما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ، والحديث من مسند أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) من حديث عبد الله بن مغفل وقال: غريب اهـ مشكاة.

فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد عليهم وإنكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق من الزندقة والإلحاد فى عقيدته وحسبك ما جاء فى الأخبار والآثار من ذلك كقول النبى ﷺ: «إن الله اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نُسب، فقال رسول الله ﷺ: «من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اختارنى واختار لى أصحابى وجعل لى أصحابا وإخوانا وأصهارا وسيجئ قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم»[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذُكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا»[٣] قال العلماء: معناه من فحص عن سر القدر فى الخلق وهو أى الإمساك علامة الإيمان

---

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد: رواه الطبرانى من حديث عويم بن ساعدة وفيه من لم أعرفه اهـ وزاد فى منتخب كنز العمال عزوه إلى الحاكم فى مستدركه.

(٢) رواه العقيلى فى الضعفاء عن أنس فى منتخب كنز العمال.

(٣) رواه الطبرانى وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان، وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح، وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبرانى أيضًا.. اهـ مجمع الزوائد، قال العراقى: رواه الطبرانى بإسناد حسن.

والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم من اعتقد أنها فعَّالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيبا وأضافه إليهم كان منافقًا بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ﷺ وحب ما جاء به وحب من يقوم بأمره وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم لأن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله.

قال أيوب السختيانى رضي الله عنه: من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الخير فى أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق.

فصل: وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشر المشهود لهم (أى بالجنة) وأفضل العشرة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان ثم على بن أبى طالب رضي الله عنهم أجمعين ولا يشك فى ذلك إلا مبتدع منافق خبيث.

وقد نص النبى ﷺ فى حديث العرباض بن سارية حيث قال: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور»[1] الحديث.

والخلفاء الراشدون هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين وأنزل الله فضائل أبى بكر رضي الله عنه آيات من القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾ (النور: ٢٢) لا خلاف أن ذلك فيه، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ (التوبة: ٤٠) لا خلاف أيضا أن ذلك فى أبى بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاَّه بثانى اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من يكون أفضل من ثانى اثنين الله ثالثهما، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣) قال جعفر الصادق: لا خلاف أن الذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر رضي الله عنه، وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) رواه الترمذى وصححه.

قال صاحب الأصل المنقول من الكتاب:

«تم الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه علي يد الفقير إلى مولاه الغنى عما سواه عبد الله بن سليمان آل بلهيد غفر الله له ولوالديه ولمشايخه فى الدارين، وسائر المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنه غفور رحيم آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين».

وكان الفراغ منه لخمس عشرة خلت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤ هجرية.

كتبت وقد أيقنت يوم كتابت ... بأن يدى تفنى ويبقى كتابها

فإن عملت خيراً ستجزى مثاله ... وإن عملت سوءا عليها حسابها

تم بحمدالله وجميل توفيقه طبع هذا الكتاب ومراجعته وتصحيحه وتحقيقه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.



فهرس الكتاب

الموضوع | الصفحة



رقم الإيداع
٢٠١٠/٢٣٤٩